هروب

منة مصطفي

هروب

منة مصطفي

تدقيق لغوي : عبد الله ابو الوفا

تصميم الغلاف : عبير محمد

رقم ايداع : ٢٠٢٠/٣٤٣٠

ترقيم دولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩٤-٨٦-٩

دار فصلة للنشر والتوزيع

العزيزيه - منيا القمح - مصر

٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١

fasla.pub@gmail.com

Www.FaslaPub.Com

فصلة للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

الطبعه الأولي يناير ٢٠٢٠

فصلة للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

هروب

منة مصطفي

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

كما ينبت العشب بين مفاصل زهرة، وُجِدنا

غريبين معًا ونبقى رفيقين دومًا.

إهداء إلى حكايات جينجر

البداية

هل يمكن أن نتخلص من الألم بالهروب؟

ولكن إلى أين سنهرب؟

الظروف التى تحيط بنا، مشاعرنا، وكل شىء، حتى الأفكار التى سيطرت على عقولنا تهدمنا.

أصبح عقلى ملجأ لكل الأفكار المبعثرة فى الكون، مثل شارع مظلم فارغ يصدر منهُ ضوء خافت يلتقى فيه الشباب ليلقون همومهم فى سيجارة بعد منتصف الليل. ها أنا أحاول الهرب من كل الفكر والحزن وأفرغهُ فى كوب قهوة فرنساوى من النوع المفضل لى فى غرفتى ذات الضوء الخافت، أسند رأسى على وسادتى الصغيرة، أحدق فى السقف، أفكر فى كل ما حدث لى، كل ما تركته ورائى لأتحول إلى دمية مزيفة وسخيفة فى علاقة حب روتينية بشعة. ثم لا! أمسكت بهاتفى وأرسلت إلى مالك، مالك الشاب الذى تعرفت عليه منذ سنة ونصف تقريبًا والذى لا أنكر مدى إعجابى به فى بداية العلاقة، ولكننا اختلفنا فى

أبرز التفاصيل وأهمهما، قتلنى هذا الاختلاف، وقتلنى أكثر عندما رفض مشاركتى ما أحب، بعد محاولات عديدة يائسة استسلمت للأمر لفترة طويلة، ولكنى لا أقوى على تحمله الآن.

"مالك، احنا حاليًا كملنا سنة ونص مع بعض، ولكن الحقيقة أنا حاولت، حاولت أتأقلم معاك على كل ما هو روتينى وتقبل عدم محاولتك لتقبل أمرى وحياتى المليانة بالكتب والموسيقى والمغامرات، وفضلت واقف مكانك ورابطنى جمبك، أنا عارفة إنك بتحبنى جدًا والحياة هتبقى صعبة لو مشينا، ولكنها هتبقى أصعب لو فضلنا".

لا أعلم من أين جاءتنى هذه الجرأة لإرسال هذه الرسالة، أنا لست بهذه البشاعة، كنت دائمًا أخشى كسر قلوب الآخرين، أشعر بالذنب الآن، ولكن أتمنى أن يتفهم الأمر. مرت دقائق وأرسل لى مالك ردًا أدهشنى! أرسله لى مسجل بصوت، كان صوته مختنقًا بالبكاء، فبكيت أنا أيضًا لشعورى بالذنب تجاه كسر قلبه، قال إنه يتفهم الأمر وأن لا بأس سيذهب حتى لا يفسد حياتى أكثر. لم أتعمد جرحه ولكنى عانيت فى صمت طوال هذه المدة وهذا يكفى، شعورى بالذنب تجاه نفسى وقتها كان أقوى بكثير لأن أغفر لمالك مرة أخرى، هذا يكفى وهذا أفضل لكل منا، أنهيت الموضوع وأغلقت هاتفى وحاولت النوم للتخلص من

كل هذا.

فى اليوم التالى استيقظت وظللت أنظر حولى كالمستيقظ من غيبوبة طويلة، ظللت دقائق فى مكانى لاستيعاب أنى ما زلت على قيد الحياة، وأن هذا ليس حلمًا، نظرت إلى هاتفى، لا رسائل روتينية صباحية من مالك!

اتجهت إلى شرفة المنزل ونظرت إلى الخارج، الأجواء صافية وهواء بداية الخريف البارد فى السابعة صباحًا، يحاول ضوء الشمس الخافت التغلب على بقايا آثار البؤس التى حطمت خلايا وجهى وجعلتنى امرأة فى الستين من عمرى. همس لى صوت بداخلى يقول:" لما أنتِ حزينة؟ أنتِ حرة الآن! انظرى حولك، لا قيود ولا سلاسل، لا حواجز بينك وبين ما تريدين، ألم يكُن هذا ما كنتِ تتمنين دومًا؟! أنتِ امرأة شجاعة لمواجهة الحقيقة والبوح بها، لا تقلقى سيعالج الوقت كل شىء".

طمأننى هذا الصوت قليلًا، جعلنى أعتقد أنى اخترت الطريق الصحيح الآن، أُحب الأصوات الداخلية التى تؤنس وحدتى فى لحظة صمت وجمود العالم الخارجى وكل شىء حولى، فبكل بساطة هذه هى الحياة التى يجب أن نتقبلها،"فيها الحلو وفيها الوحش، وزى ما بنقابل الحلو هنواجه الوحش"، كما كانت تذكر أمى دومًا، ولكن الخوف هنا من

تأثير"الوحش" علينا، تمر فترة عصيبة وصعبة بعد مواجهتنا السىء، فترة التئام جروحنا وشفائنا، لكل شىء سواء كان سيئًا أم جيدًا قيمته، ولكننا لن ندرك هذه القيمة إلا بعد انتهاء الوقت لننظر حولنا ونرى كيف كنا وماذا أصبحنا. أعتقد إنه لا سىء هنا، فأنا... ما زلت... أتنفس!

نظرت إلى كل شىء حولى وإلى كل الطاقة الداخلية والتى لم تعد موجودة، استُنفدت كلها فى هذه العلاقة الغبية. أحيانًا أتساءل لما كنت أفعل فى نفسى كل هذا! وهل حقًا كنت أتمنى أن تدوم هذه العلاقة يومًا! عجبًا لك أيها القلب. مرت ثلاثة أيام ولا شىء يحدث، لم أتحدث إلى أحدٌ من الأصدقاء، لم أخرج من غرفتى إلا قليلًا.

فى مساء اليوم الرابع قررت الذهاب إلى النادى، رغم علمى أنه المكان الذى وُلدت فيه هذه العلاقة، وأنى بكل تأكيد سأقابل مالك وأواجهه على الحقيقة، لا عبر رسائل واتس آب غبية.

لكن لا يوجد مجال للهرب إلى الأبد، علمتنى الحياة أن مواجهة الأمور على أرض الواقع أمر لا بد منهُ، حتى ولو بعد وقت طويل، فيجب أن تكون شجاعًا كفاية لتقبل تبعات اختياراتك. دخلت إلى ملعب كرة السلة أبحث عن الأصدقاء، كان مالك يقف فى نهايتهُ وسرعان ما رآنى

حتى أدار وجههُ ولم ينظر لى. لم أهتم، لا بأس فسيظل يفعل هذه الأمور الطفولية حتى يشعرنى بالذنب طوال الوقت، وليكتسب تعاطف من حولى وينقلبوا جميعًا ضدى، ربما يعتقد أنه بهذه الطريقة سيجبرنى على تغيير رأيي، ولكن محاولة فاشلة عزيزى.

تركت الملعب بمن فيه واتجهت لأجلس مع صديقتى داليا فى الحديقة المقابلة للملعب، وجدتها تنظر لى بغضب شديد، ثم بدأت بمعاتبتى ولومى على قرار إنهاء علاقتى بمالك قائلة:

-«أنتِ ليه عملتى كدا؟ ليه تهدمى العلاقة عشان خاطر أسباب تافهة، أنتِ بتعملى إيه فهمينى! أنتوا كنتوا حلوين جدًا مع بعض ليه كسرتى قلبهُ؟»

صمتت للحظة أحاول فيها استيعاب ما تقوله لى، هل ترى حقًا إن أسبابى تافهة! لم تسمعنى أو تسألنى حتى عن أسبابى! كيف يمكنها أن تفعل هذا!

ثم أكملت فى نفس الغضب:

«ساكتة ليه؟!»

لأجيب عليها بعد ما تملكنى الغضب أيضًا:

=«أنتوا كلكوا كنتوا شايفين العلاقة الجميلة دى من برا، ومحدش

فيكوا عارف اللى جوايا ولا حتى فكر يسأل، حتى مالك اللى المفروض شريكى فى كل حاجة ولا سأل ولا اهتم! بتلومينى على أساس إيه؟!»

صمتت للحظات جعلتنى أشمئز منها ومن كل شىء هنا.

لم أنتظر منها إجابة أخرى، تركتها ورحلت فى غضب شديد. ذهبت إلى المنزل واتجهت مسرعة إلى غرفتى، أغلقت الباب والهاتف وكل شىء يمكن أن يجعلنى متصلة بالعالم الخارجى؛ تعجبت أمى من عودتى مبكرًا، ثم جاءت وطرقت الباب فلم أُحُدث صوتًا، وقفت تتحدث إلَىَّ من خلف الباب وقالت:

-«أول مرة ترجعى من النادى بدرى!»

=«عادى ملقتش حد هناك فرجعت».

انتهى حديثى أنا وأمى من خلف الباب، وذهبت دون أن تضيف أى شىء آخر، ظللت قابعة فى غرفتى هذه أحاول استيعاب ما يحدث! هل انقلب الجميع ضدى دون معرفة شىء منى! لم يفشل مالك فى كسب تعاطفهم بسهولة، وهم بكل هذه السذاجة صدقوه وأصبحت أنا الشريرة القاسية ذات القناع الأسود فى نظرهم فى النهاية! حقًا لا أصدق هذا! ما هذا العالم المحيط بى! حمقى يحكمون على كل شىء بطريقتهم السطحية. أحيانًا ندرك أشياء عمن حولنا متأخرًا، وعند إدراكنا إياها

نتمنى لو يعود بنا الزمن حتى نصلح الأمور ونعدل اختيارتنا هذه.

مرت عدة أيام على هذه الحالة، لا شيء جديد، ساهمت الأجواء النفسية حولى فى جعلى كتومة أكثر من اللازم، أتى موعد رحيل أناس فى حياتى متأخرًا جدًا، هذا رائع، أصبحت أفضل التحدث إلى الجدران على مخاطبة عقول مدفونة منذ آلاف السنين وأناس مزيفين. استلقيت على سريرى ونظرت إلى سقف الغرفة باختناق يقيد قلبى، إلى متى سأظل هكذا!

لاحظت أمى تغير حالتى، طرقت الباب مرة أخرى واستأذنت للدخول، اعتدلت فى مجلسى، ونظرت إليها فى اهتمام. جلست أمى بجانبى وقالت فى هدوء:

-"مالِك؟ أنا ملاحظة إنك متغيرة بقالك فترة؟ مش بتروحى الجامعة ولا الكورسات وسبتى النادى، فى إيه؟"

="مفيش بس متلخبطة، شوية وهبقى كويسة".

-"بصى أنا عارفة إنى ظلمتك كتير قبل كدا بإهمالى ليكى وعدم فهمى لكل اللى أنتِ عايزاه زمان أنا وباباكى، وعارفة إنك زعلانة مننا وحقك ماتحكيليش لما أسألك، بس لازم تعرفى إنى أكتر واحدة بحبك وبخاف عليكى ودلوقتى أنا جمبك وعايزة أساعدك، أنتِ دلوقتى كبرتى وفى

حاجات كتير لازم تكونى فاهماها فماتزعليش منى وسامحينى".
أغرورقت عيناى بالدموع بعد سماع هذه الكلمات وشعرت بغصة تقبض قلبى من مكانه، احتضنتى أمى كثيرًا، لم أحك شىء، جعلتنى كلماتها أطمئن قليلًا أن هناك على الأقل شخص واحد على هذه الكوكب يهتم لأمرى ويحاول فهمى. ثم نظرت لى وقالت:
-"شوفى إيه اللى هايريحك واعمليه، وأنا معاكى وهشجعك".
ابتسمت لها رغم كل الأوجاع التى تملأ قلبى وقلت:
="خليكى وخلينى فى حضنك شوية أرجوكى، حاسة بتقل الدنيا كله فى قلبى".
ظلت أمى بجانبى حتى خلدت إلى نوم عميق، شعرت بالراحة لوجودها هنا وأن جزءًا كبيرًا من الأعباء المبعثرة بداخلى قد ولّى مقابل عناق دافئ منها، لماذا لم تعانقنى أمى من قبل؟ لربما كنت سأحتاج إلى كل هذا! أدركت أننا أحيانًا نحتاج إلى بعض الحنان الصادق لتلتئم جروحنا بسهولة، أدركت أن كل ما كنت أحتاجه هو عناق يحتضن حزنى الذى بات يأكل من روحى كالسرطان، أدركت أن عناق أمى هو الدواء.

بيت وأوضة منسية

فى المساء، جلست على الكرسى المقابل للنافذة الكبيرة فى منزل جدتى التى سافرت منذ شهور وتركت هذا المنزل فارغًا دون ونس. ها أنا قد أتيت وحدى لأملأ الفراغ فى ركن هذا المنزل القديم، بعد حديث طويل مع أمى وأبى وافقوا أخيرًا على أن أرحل وأستقل لفترة وحدى؛ أريد أن أستجمع كل الطاقة الكونية التى فقدتها، أتنفس بحرية مرة أخرى، بلا ضيق لأبدأ من جديد. كانت أمى تطمئن على من حين لآخر، ترسل لى المال وتتأكد أن كل شىء على ما يرام ثم ترحل. لحسن الحظ أن لدى غرفة خاصة لى هنا منذ أن كنت آتى إلى جدتى فى الصغر، غرفة تحمل حكاياتها الصغيرة لى قبل النوم على هذه الجدران، غرفة تركت آثارها وأحضانها الدافئة فيها قبل نضجى وقبل رحيلها.

جلست أنظر إلى السماء فى منتصف الليل، ثم أخذت رشفة من كوب قهوتى الدافئ وشردت قليلًا. أتذكر هذا الموقف جيدًا عندما كنت أحكى لمالك أحلامى عن الاستقلال والسفر، مكتبة الكتب الكبيرة التى أحلم ببنائها فى بيت صغير، قاطعنى وقتها بضحكات سخيفة

ساخرة وقال:

"استقلال! أه أه وانتى مين هيسمحلك تعملى كدا بقى؟"

قُلت مستهزأة على ردهُ هذا: "أمى، أمى هتسمحلى أعمل كدا"، ثم نظرت له فى غضب شديد يملأ وجهى، فكنت فى كل مرة أحكى له عن سقف أحلامى كان يهدمهُ بردودهُ الجافة المحبطة هذه، بدلًا من مشاركتى إياها، اتجهت معه فى علاقتى به إلى الصمت وكتمان كل شىء بداخلى.

لماذا يا عقلى تفكر فى كل هذا؟ هل أنت غبى؟ هل تريد إرهاقى؟ أم أنك تريدنى أن أبكى! ليتنى حقًا أستطيع أن أبكى ولكنى فتاة لا تبكى بسهولة لسبب غير معروف. ولسبب آخر لم أعلمه ولا أعلمه حتى وقتى هذا، لا أعرف لما كنت سجينة هذا العالم الذى لم يفعل شىء سوى تحطيمى! بين أُناس وأشياء لا تشبهنى فى شىء!

إنها طبيعة الحياة على ما أظن أو كما يسمونها التجارب التى يجب أن نخوضها لننضج، لنعرف ونفهم الأسباب وما وراء الأسباب أيضًا. هنيئًا لى هذه التجربة الفاشلة، حمد لله على السلامة، الآن لقد وصلت إلى أسفل نقطة فى قاع هذا الطريق، ويجب أن أبحث عن طريقى الأسلم، لقد أتى وقت رحيل كل شىء متأخرًا جدًا.

أخذت أخر رشفة من كوب قهوتى واستلقيت على سريرى أحاول طرد

أفكارى للخلود إلى النوم. ما أن أغمضت عينى قليلًا ومرت دقائق حتى سمعت صوت موسيقى صاخب يأتى من الخارج، أفزعنى كثيرًا وجعلنى أنتفض من مكانى، فتحت باب المنزل فارتفع الصوت أكثر!

اقتربت بخطوات بطيئة نحو شقة الجيران المقابلة لشقة جدتى فى نفس الطابق، وكلما اقتربت أكثر كلما ارتفع الصوت أكثر؛ مما يؤكد لى أن هذا هو مصدر الصوت بالفعل. انتهت خطواتى عند وصولى أمام باب الشقة مباشرة، وقفت لحظة أحاول استيعاب ما يحدث بالداخل، ما هذا بحق الجحيم! هل يقيمون حفلات ليلية هنا؟ منذ متى؟! هذا يكفى.

طرقت الباب فى غضب قد تملكنى بسبب هذه الضجة التى أفزعتنى فى هذا الوقت، ألا يوجد احترام للسكان فى هذا الوقت المتأخر!

أخذت أطرق الباب حتى فتحهُ شاب، لا أعلم لا أجد كلمات دقيقة لوصفه ولكنى أعتقد إنه فى مثل عُمرى تقريبًا، شكله غريب وغير مألوف وتعابير وجهه توحى بالغموض والثقة، يبدو فى نفس طولى وعريض الهيئة، عيناه سوداوتان وضيقتان، شعرهُ كثيف للغاية، وجههُ بسيط وجميل، بشوش رغم هيئتهُ البائسة.

تبادلنا النظرات للحظات، جعلتنى أرتبك قليلًا ثم قلت له فى حزم:

-"إيه ده؟!"

نظر لى فى تعجب ثم أشار إلى الآلة الموسيقية التى بيده وقال:

="ده! ده جيتار!"

-"لا أنا مش قصدى إيه اللى فى إيدك ده، أنا قصدى إيه الدوشة دى! أنت فزعتنى وأنا مش عارفة أنام".

ابتسم وقال:

="أنا آسف بجد، بس هما قالوا لى إن الشقة اللى قدامى فاضية، وأنا لسه معزل وجيت هنا من أسبوع فمعرفش، أنا كنت بتمرن مش أكتر".

-"أها"، قلت كالتائهة فى بحر العجائب.

="أقصد مش قصدى إزعاج ولا حاجة".

-"طب أنا عايز أنام!"

="حاضر!"

أدرت ظهرى واتجهت إلى منزلى وأغلقت الباب.

"يا الله! كان ناقصنى عازف جيتار مجنون فى نص الليل!"

مزاج موسيقي

رن هاتفى فى الصباح الباكر، صديقتى ليلى تتصل، على الأرجح تحدثت إلى أمى وشرحت لها أمى الأمر، عجبًا على الأقل هناك من يسأل!

فى المساء أتت ليلى لزيارتى فى منزل جدتى. على الرغم من اختلاف ليلى عنى كُليًا إلا أنها الوحيدة من بين قائمة الموجودين فى حياتى وقتها التى تقبلت اختلافى وكانت تشاركنى كل ما أحب وما أريد حتى ولو اختلف هذا مع ذوقها الفكرى والفنى؛ لهذا لم أقو على خسارتها وتجنبها كما فعلت مع الآخرين.

ليلى من الفتيات البشوشات، مهما تقدمت فى العمر ستظل الطفلة المعلقة بداخلها كما هى.

ظلت تشجعنى كثيرًا حتى لا أستسلم لهذه المرحلة التى قد تتسبب فى تدميرى أنا ومستقبلى وبالتالى حياتى كلها دفعة واحدة. أخبرتها إنى بخير فقط كل ما أحتاجه بعض الوقت لا أكثر. اتجهنا للجلوس فى شرفة المنزل بعد إعدادى لها كوب الشاى التى تحبه.

أخذت نفسًا والتفتت لى مباشرة بعد أخذها رشفة من كوب الشاى، ثم قالت فى نبرة حزينة مقلقة:

-«أنا عارفة إنك فيكى اللى مكفيكى، بس أنا مش قادرة ماحكيش».

حكت لى عن حبيبها سيف، وعن هذه العلاقة المعقدة التى بينهما، لطالما كانت تحكى عنهُ بهذه النبرة الحزينة والتى لم تتغير مما يجعلنى أشعر بتألم قلبها، فهى تحبه منذ ثلاث سنوات تقريبًا، هو أيضًا يحبها كثيرًا، ولكنهما غير مستقرين ولم أستطع فهم السبب حتى الآن! يدور بينهما بعض الاختلافات التى تسبب الألم والفراق لفترة، ثم يعودا بعدها ليواجها نفس المشكلات دون الوصول لحل قاطع.

لطالما كنت أتساءل ما الذى يربطهما هكذا ليعودا بعد كل هذه الفترات المليئة بالحزن والبكاء والفراق؟! ماذا بينهما؟! هل هو الحب! هل الحب حقًا يفعل هذا! أم إن هذا نوع آخر لم أدركه بعد؟!

ظلوا هكذا طوال الثلاث سنوات وحتى الآن تجلس ليلى أمامى لتحكى لى عنه وكيف أنها حاولت نسيانه ولم تستطع. يحترق قلبى لها كثيرًا وأعانقها بشدة لأطمئنها بأن كل شىء سيكون على ما يرام، لتجيب:

-«لا أنا اتعودت خلاص».

ظلّت هكذا حتى هدأت وقبل رحيلها قالت لى:

-"سامحينى أنا دايمًا بقرفك بمشاكلى، بس أنتِ أكتر واحدة برتاح لها. أنا اللى المفروض كنت جاية أسمع همك زودتك بهمومى".

="ماتقوليش كدا! أنا مبسوطة إنك أتكلمتى وبعدين أنا أحسن دلوقتى بكتير".

ابتسمت لى وقالت:

-"بس أنتِ أقوى وأجدع منى! طول عمرك وأنتِ كدا".

لأبتسم لها وأقول:

="مفيش حد فينا ضعيف، بس كل واحد فينا عنده نقطة ضعف".

رحلت ليلى وظللت أفكر فيما كانت تحكى لى اليوم، هل حقًا اعتادت هذا الأمر حتى بات لا يؤثرعليها إلا بالسلب! أتذكر مقولة إن بإمكان المرء أن يعتاد كل شىء حتى الجحيم. العادات السيئة تظل سيئة، تبدأ سخيفة ثم مألوفة ثم تتحول إلى معبودة، أخشى أن تصل ليلى إلى عبادة الجحيم!

I stare at my reflection in the mirror
Why am I doing this to myself?
Losing my mind on a tiny error,
I nearly left the real me on the shelf
No, no, no, no.

رافقتنى موسيقى وكلمات هذه الأغنية فى صباح يوم آخر باكر، الأجواء الباردة والمعتادة من كل شىء هنا، صوت جيسى جى القوى فى أذنى يدفعنى لفعل أى شىء غير المكوث هنا، أتحرك من مكانى لأعود للحياة مرة أخرى.

ارتديت ملابسى وذهبت للخارج استنشق بعض الهواء. موسيقى أدل (Hello it's me) ترافقنى فى وجهتى التى لم أحددها بعد، لنرى إلى أين ستأخذنى قدمى. مقهى فى آخر الشارع على الناصية، كوب القهوة فى يدى وتركت الراديو ليختار لى موسيقاى ويتحكم فى مزاجى، لن أفرض شيئًا على نفسى بعد الآن، سأترك الأمور لتحلل وتفرض نفسها بنفسها، سأعطينى بعض الراحة فأنا أستحقها.

تتوالى الأغانى بعشوائية مع فواصل إعلانية سخيفة، أنتهى من ثانى كوب قهوة لى وأتذكر أمى تنهرنى على تناول القهوة فى الصباح بدون إفطار، أنادى على النادل لأطلب الحساب، يبتسم فأرسل له ابتسامات متبادلة أيضًا، هذه الابتسامة تعنى أنى بلا شك سأعود هنا مرة أخرى.

أقف لأرحل مع موسيقى فيروز التى قد بدأت لتوها،"صباح ومسا... شى ما بيتنسى". هذه الموسيقى فى الخلفية والشوارع الهادئة والأجواء الكلاسيكية التى لا يعشقها إلا القليلون من جيلنا هذا-وللأسف-.

لحسن حظى أنى فى أول سنة لى فى الجامعة وأنى بعد خمس سنوات من الآن سأصبح مهندسة ديكور مما سيعطينى فرصة إعادة إحياء المبانى والشوارع على الطراز القديم مرة أخرى؛ لأنى سأظل أومن بأن العالم الآن ينقصه الكثير من الفن والإبداع وهذه الشوارع والأماكن اليوم تفتقر الدفء مقارنة بالماضى، شجعتنى جدتى على هذه الفكرة نظرًا إلى أنها تقول دومًا:

"إن الزمن الجميل سيظل جميلًا ولن يأتى أجمل منهُ".

انتهت خطواتى التى لا أتذكر كم عدد الساعات التى استغرقتهم فى السير وتوقفت فجأة لما رأيت أمامى، إنه متجر لبيع أسطوانات الموسيقى القديمة وبعض الأشياء والمقتنيات المتعلقة بالفن المبتكر، لم أتردد لحظة وقتها، هرعت إلى الداخل ووقفت مكانى لأتجول بعينى فى أنحاء المكان، إنه هادئ جدًا ولا يوجد أحد هنا غيرى على ما أعتقد، أهذه صدفة مُدبرة لى! أم أن هذا حلم! فكل شىء هنا كما رُسم فى خيالى، تجولت فى المكان وأنا أعزم على أن من صمم ووضع أثاث كل شىء هنا لا بد أن يكون عبقرى أو كما يسمونه حاليًا"رايق"، كان المكان كالتحفة الفنية، جداريات ملونة وملصقات لموسيقين وفنانين قدامى عليها بوسترات أفلام ومقاطع من أغانى مميزة وجو ممزوج بالكلاسيكية

القديمة والفن الحديث، موسيقى هادئة وغريبة فى الخلفية؛ ولكنها تطربنى بشكل جميل، انشغلت فى البحث فى هذه الأشياء عن البحث عن الكائنات البشرية التى يمكن أن تتواجد هنا. مرت دقائق وأنا تائهة وسط المكتبة المليئة بالقصائد والكتب فى الركن فى نهاية هذا المكان، ثم شعرت بخيال أحد ما يتحرك خلفى، وما كدت أن ألتقط هذا الكتاب من على الرف حتى انطلق هذا الصوت الذى يقول لى:

-"أحم، أحم، أساعدك فى حاجة؟!"

التفت فجأة فى فزع وقلبى يدق فى عنف، لم أستطع التحكم فى دقات قلبى التى كادت تقتلنى، مرت لحظات يحاول فيها هذا الشاب تهدئتى وتكراره جملة:"أهدى، أهدى، مفيش حاجة، متخافيش".

أحضر لى كوب ماء وجلست على كرسى بعد أن شعرت بدوار فى رأسى وما أن هدأت قليلًا ومع استعادت وعيِّ الذى كنت على وشك أن أفقده تمامًا، نظرت إلى هذا الشاب بعمق شديد لأدرك أنه ذلك الذى أفزعنى تلك الليلة التى انتقلت فيها إلى منزل جدتى، هذا هو نفسه صاحب الجيتار! صاحب الموسيقى الصاخبة!

-"هو أنت تانى! وبتفزعنى تانى! أنت طلعت لى منين؟"

ضحك وقال:

="أنتِ اللى جيتى برجلك المرة دى على فكرة زى المرة اللى فاتت".

رمقتهُ بنظرة متحفزة وأنا أقول له:

-"قصدك إيه؟"

="يا ستى مش قصدى حاجة".

ثم مد يده لمصافحتى وهو يعرفنى بنفسهُ:

"أنا زين".

صافحتهُ أيضًا قائلة:

"وأنا منة، بس مكنتش أتوقع إنك هنا. لو كنت أعرف مكنتش جيت، أنا مش ناقصة كل شوية فزعة وخبلان".

تسلل الحديث بينى أنا وهذا المدعو بزين، والذى ما زلت أصر على مدى غرابة أمرهُ وغموضهُ وصمتهُ فى بعض الأحيان للنظر والتركيز فى عينى مما جعلنى أتوتر قليلًا.

حكى لى أنه يعمل فى هذا المتجر منذ شهور، وأن لهُ دور كبير فى بعض الأفكار هنا والتى ساهمت فى نجاحهُ بشكل كبير، ولكن صاحب المتجر رجل-ابن حلال- ويرفض الاعتراف بهذا.

حكى لى أيضًا أكثر عن هذا المكان وخباياه وتفاصليه وذلك بعد إظهارى مدى إعجابى بكل شيء هنا، المكان ينقسم إلى جاليرى

وورك سبيس، ليس ذو مساحة كبيرة جدًا ولا صغيرة أيضًا، مُتقن التصميم فى كل شىء.

قال زين وهو يُعد لنا كوب قهوة:

"المكان ده عامل زى ابنى الصغير بالظبط اللى بخاف عليه، كل حاجة هنا بختارها بعناية حتى أدق التفاصيل زى الموسيقى اللى بتشتغل مثلًا ودى أصلًا تخصصى هنا ومن وجهة نظرى إنها أهمهم".

نظرًا إلى أنه هنا بمفرده اليوم فكان يفعل كل شىء بنفسه، كنت أنصت إليه بعناية، الطريقة التى يتحدث بها عن الموسيقى وتاريخها وفنانيها لم تكن عادية، كانت غامضة مثله تمامًا وكأنها تخفى شىء وهذا الشىء الذى أكد لى أنى لن أدركه بالكلام عنها فقط. أخرج من جيبه سماعات وأعطانى إحدى السماعتين وأخذ الأخرى، ثم بدأ بأغنية من النوع المستقل لفريق أردنى، وموسيقى الروك، لم أفهم من كلماتها شيئًا وشعرت بضجة فى أذنى فى البداية مما جعلنى أخلع السماعة من أذنى فورًا قائلة:

-"إيه ده! وحشة لا مش حلوة دى".

صمت زين للحظة واقترب منى وهو ينظر لى باهتمام شديد، ثم قال فى هدوء وكأنه يُلقى حكمة:

"مفيش موسيقى وحشة، بس فى موسيقى مابنحبهاش، ماتحكميش على حاجة بطريقة سطحية من أول مرة".

ثم أعطانى السماعة مرة أخرى لأضعها فى أذنى وأخرج كلمات كل أغنية على هاتفه حتى أفهمها وأدركها جيدًا، ابتسمت له فى ذهول وحاولت أن أترك نفسى لهذه الموسيقى الجديدة، حتى تمكن من جعلى أقع فى حبها وأدرك قيمتها الفنية وروعتها وكأنهُ ألقى كلمات كالسحر، شعرت بالراحة تجاهه مما جعل الوقت يمر بسرعة دون الشعور به، أعتقد أن زين عبارة عن مزيج من شخص مختلف تمامًا، فبجانب كل هذا الغموض وحبه للفن والموسيقى وحديثهُ الذى لم ينته عنها، وحديثنا الذى لم ينته عن الكتب والسينما أيضًا، فكان لديه حس فكاهى لم يفشل أبدًا فى إخراجى به من همومى.

دقت العاشرة والنصف مساءً ورأيت قطرات المطرالقليل تلمع على هذه النافذه الزجاجية الكبيرة والمطلة على الشارع، والتى ساهمت فى إضافة شكلًا وجوًا من أجواء أوروبا فى أفلام هوليوود.

التفتُ لهُ وقلت:

-"الوقت سرقنى والكلام خدنا، لازم أروح!"

="أستنى نروح سوا، طريقنا واحد".

لم يبعد المتجر عن المنزل لذلك لم نسر إلا قليلًا، وصلنا إلى المنزل وتغمرنا الضحكات التى لم تنته إلا بعد دخول كل منا إلى شقتهُ.

شعرت بأنى أمضيت اليوم جزءًا من فيلمى المفضل، شعرت بالسعادة تتسلل إلى داخلى وأتراقص وأنا أضحك وقلبى يدق بعنف شديد، لا مجاز هنا، أشعر بروح طفلة تضحك، أهداها اليوم فتى غريب موسيقى لتعتنى بها. بدلت ملابسى واستلقيت للنوم وقد رسمت على وجهى ابتسامة الرضا عن كل شىء اليوم، أنا حقًا كنت أفتقد هذا، كنت أفتقد روحى ومن يعيدها لى وها قد عادت وأخيرًا، وجدت رسالة من زين فيها أغنية أخرى ويقول:

-"أسمعيها قبل ما تنامى، وبكره نكمل".

="تصبح على خير".

كتاب وصن داي

استيقظت على صوت المنبه فجأة، إنها الحادية عشر صباحًا، نهضت مسرعة عند النظر إلى الساعة، يا الله لقد تأخرت كثيرًا، تفوق النوم عليَّ مرة أخرى وضاعت محاضرات أول يوم فى هذا الأسبوع، شعرت وقتها حقًا بالوحدة، وأنى اشتقت إلى أمى كثيرًا، لو كانت هنا لكنت استيقظت فى الميعاد، فلم تتركنى أبدًا أغفو ورغم تذمرى أحيانًا عندما توقظنى بسبب تعلقى الشديد بالنوم إلا أننى أفتقد كل هذا، وهذا المزاج الصباحى المتعكر ونهرها لى لأنى دائمًا أظل مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل وأضيع أعمالى الصباحية الباكرة بالنوم والتكاسل طوال اليوم.

حسنًا لا بأس فى المرة القادمة يجب أن أتعلم كيفية تحمل المسؤولية وحدى، ظللت بعض الوقت على سريرى لأستجمع بعضًا من الطاقة لأتغلب بها على هذا الكسل وأنهض. أمسكت بهاتفى وأرسلت إلى زين عن أغنية أمس، فكان ينتظر منى تعليقًا وردًا على كل أغنية يرسلها لى وكأنه من عزف موسيقاها بنفسه أو لحن كلماتها:

-«حلوة الأغنية جدًا فضلت أسمعها طول الليل وراحت عليا نومة».

ضحك وقال:

=«صباح النور!»

صمتت للحظات ثم:

-«أنا حاسة إنى فاشلة!»

=«لأ ماتقوليش كدا أنتِ استرونج».

«صباحك ضحكة بتسكر ساعاتى الجاية من يومى،

صباحك عين بتختار لى بذوقها الحلو فى هدومى».

ظل زين يرسل لى الأغانى المختلفة، البعض منها لفيروز، ومستقل، وأجنبى أيضًا. تغمرنى كلمات الأغانى والموسيقى التى تعبّر عنا بكل بساطة وامتنان يجعل السلام الداخلى يزيل بقايا الحزن والتحجر من قلبى لأشعر بخفة وأتراقص على أطراف أصابع قدمى فى المطبخ ذى الطاولة الصغيرة فى المنتصف وأنا أُعد قهوتى الصباحية.

ثم تركنى زين مع الموسيقى ليذهب ويبدأ روتين يومه، والذى لم أعرف عنه شىء حتى الآن فطوال ليلة البارحة التى قضيناها سويًا كنا لا نتحدث سوى عن الموسيقى وكل ما نحب ونسينا التحدث عن أنفسنا.

"يا ريت الدني بتزغر
وبتوقف الأيام
هالأوضة وحدا بتسهر
وبيوت الأرض تنام
تحت قناديل الياسمين
أنت وأنا مخبايين
نحكى قصص حلوين
ولا مين يدرى شو صار".

مرت أيام متشابهة بثقل شديد، لا شىء جديد، الروتين السائد لهذه الجامعة وأيام الجامعة التى لا تُطاق ولا تحتمل، ومحادثات بينى وبين زين التى تبدأ فى الصباح بأغنية وتنتهى قبل النوم بأغنية أخرى، ودقات لا تتوقف ولا تنتهى ولا يمل منها القلب حتى جاء هذا اليوم المنتظر، اتفقنا أن نلتقى اليوم فى كافية لتلاشى الحديث المميت على السوشيال ميديا، والذى لم أكن أستسيغهُ أبدًا نظرًا إلى أنه يقتل روح العبارات والكلمات بين الطرفين، أحب الواقع الممزوج بخفة من الخيال.

الجو الخارجى ملائم نسبيًا لجعلى فى حالة مزاجية جيدة، وقفت ما يقرب من نصف ساعة أمام المرأة،"ألبس إيه؟"، ظل هذا السؤال معلق

ولم يختفى إلا عندما تغلبت علىَّ حالة من اليأس، تمنيت لو كان أحدٌ هنا بجانبى يساعدنى فى أبسط الأشياء كاختيار ملابسى.

لم يكُن الاستقلال أمرًا سهلًا وممتعًا كما توقعت، الوحدة بوحشيتها مملة أحيانًا، التحدث إلى الجدران والهواء غير مناسب لشخص فى مثل سنك، أحتاج لمن يبادلنى الآراء، من ينازعنى، من يزعجنى ثم يخفف عنى، أحتاج إلى من يحتضننى.

أحتاج حضنًا الآن، ثم تذكرت أنى من فرضت هذا الوضع على نفسى وعلىَّ تقبلهُ شئت أم أبيت، اتصل زين مرتين يخبرنى أنه وصل هناك وينتظرنى، مما جعلنى أدرك أنى تأخرت حقًا، خرجت مسرعة من المنزل بعد خضوعى لجينز وبلوزة صيفية لا بأس بهما، أوقفنى لدقائق وجود عم لويس عند مدخل البيت، عادة ما يجلس هنا فى الصباح مع عم محمد البواب يقرآن الجرائد ويتسامران عن الأحوال السياسية والاجتماعية، جدى لويس والذى تعمدت مناداته:"جدو"، نظرًا إلى أنه شهد طفولتى العبثية هنا والتى لم يشهدها جدى الحقيقى- فى كل زيارة لى لجدتى، فهو شخصية دافئة للغاية، يسكن فى الطابق الثانى، هادئ وبشوش الوجه، كان يلعب معى أحيانًا وعرف ولعى بالكتب والحكايات منذ صغرى، فكان يحكى لى البعض منها ويجعلنى أقرأ البعض الآخر

من مكتبتهُ الضخمة المليئة بالكتب المختلفة، والتى تمنيت امتلاكى واحدة مثلها، وقف فى مكانهُ عند رؤيتى يضحك بصفاء، ثم أبدى إعجابه الشديد بمظهرى قائلًا:

-"إيه الجمال ده يا بنتى!"

ثم أجبت وقلبى يدق فى توتر وأنا أبتسم:

="بجد؟ شكلى حلو؟!"

-"أنتِ دايمًا بسيطة وجميلة يا بنتى".

ثم أمسك بيدى بقوة وهو يقول:

-"خلى بالك من نفسك".

ازدادت ابتسامتى ثم احتضنته كثيرًا، كنت أفتقد ذلك الحضن الذى يجعل الدفء يتسلل إلى داخلى، جعلتنى كلماتهُ أشعر بأنى مفعمة بالثقة، فمن الممكن أن تكون جميلًا فقط لامتلاكك قطعة من الجمال غير المرئى مثل هذه البساطة التى دائمًا يحدثنى عنها هذا العجوز الستينى، عانقته ورحلت مسرعة بعد نظرى إلى هاتفى الذى لم يتوقف عن الرن، وصلت إلى هذا الكافية المتفق عليه، ما أن رآنى زين حتى وقف فى مكانه ليستقبلنى، نعم فهو كلاسيكى ومهندم فى بعض الأوقات رغم عبثيتهُ، نظرت إلى عينيه وابتسمت بعفوية أعتذر فيها عن تأخرى

هذا، تفهم الأمر دون مجهود والحمد لله.

مرت الدقائق مسرعة وتحدث كل منا عن نفسه وأحلامهُ وتبادلنا الحكايات، كنت سعيدة لمعرفتى به أكثر ولكن دائمًا كان يلازمنى شعور أنه يخفى شيئًا، شىء ما وراء صمتهُ المفاجئ وسط الحديث وعينيه، ونظراتهُ المُربكة فى عينى والتى أربكتنى أيضًا.

«Cause we were just kids when we fell in love.

Not knowing what it was».

سادت لحظات الصمت بيننا، بينما ارتفع صوت هذه الأغنية، لتغطى المكان وتضيف إلى هذه اللحظات رعشة بسيطة تتسلل إلى داخلى بخفة، وأبتسم لسماعى إياها وأضيف أيضًا أنها واحدة من المفضلات بالنسبة لى، ليضحك زين وهو يقول:

"وأنا كمان بس هى أغنية شتا أوى".

أتفق معهُ بدون تردد.

لم أشعر بالوقت الذى ابتلع دقائقهُ مسرعًا، كنت سعيدة بهذه اللحظات ولا أعلم مصدرًا لهذه السعادة، ربما لحديثنا الذى لا ينتهى، وهذه النظرات العميقة فى عينى والتى تربكنى كثيرًا، لا أعلم!

بينما كنا نتحدث عن الكتب وعن مدى حبى لها، جاءت القهوة

لتشاركنا هذه اللحظات السحرية، ثم التفت زين وأخرج كتابًا من حقيبتهُ قال لى:

«أنتِ هتاخدى الكتاب ده وتقرأيه»، رواية طه الغريب لمحمد صادق.

دق قلبى بعنف، واتسعت عيناى فى ذهول، لا توجد كلمات لوصف حالتى وقتها، كنت كالطفلة التى ابتاع لها والدها لعبتها المفضلة، يا إلهى!

قلت فى نبرة متفاجئة وعيناى ما زالتا متسعتين فى نفس الذهول:

«إيه ده بجد! يعنى ده ليا؟ أنا مش مصدقة!»

ابتسم زين فى تعجب على حالتى هذه، ولمعت عيناهُ كأنه جندى انتصر فى حرب وأعلن نصرهُ، ظلت ابتساماتى البلهاء متهللة على وجهى، وأنا أنظر إلى الكتاب أكثر وأكثر، وزين يتأملنى بعمق شديد ويتأمل فرحتى وابتساماتى التى لا تتوقف، لطالما أحببت الكتب وأحببت من يهدينى كتبًا، إنها واحدة من أجمل اللحظات الكونية، كانت كالسحر المنثور فوق حياتى البائسة.

قال لى وهو يضحك:

=«خلاص شيليه بقى، ولا هتفضلى تبصى له كدا كتير وتتجاهلينى؟!»

قلت له:

–«أنت عرفت منين إنى بحب الكتب؟»
ليجيب بلا تعابير واضحة على وجههُ:
=«عادى!»
تجاهلت هذه الإجابة، أمسكت حقيبتى لأضع الكتاب وأنا أقول:
–«عارف أنا بحب حاجات تانية كتير ماتعرفهاش زى الباسكت بوول مثلًا و...»
ثم قاطعنى وهو يقول:
=«أه عارف، شوفتك قبل كدا وأنتِ بتلعبى».
انعقد حاجباى ونظرت له فى ذهول وتعجب، قلت له بنبرات متقطعة:
–«شوفتنى! شوفتنى امتى وإزاى وفين؟ أنا..أنا عمرى ما شفتك قبل كدا!»
ليحاول تهدئتى وهو يقول:
=«أهدى، أهدى، فى إيه؟!»
دق قلبى وقلت له فى جدية:
–«مش بهزر! أنت تعرفنى من زمان؟»
قال:
=«مش فاكر».

نظرت له نظرة ثاقبة أحاول بها الدخول إلى عقله ومعرفة كل ما يثير فضولى عن هذا الكائن الذى يجلس أمامى، ولكنى فشلت، ثم حاولت أن أتجاهله وأتجاهل الموضوع، لطالما جعلتنى ردوده الغامضة يائسة غاضبة ومشمئزة منهُ، لينظر لحالتى هذه ويبتسم وكأنه انتصر.

فى طريقنا إلى المنزل وبعد انتهاء هذا اليوم، انتصرت علينا أقدامنا مرة أخرى لنجد أنفسنا بلا تفكير نتمرد على كل وسائل النقل ونسير إلى المنزل لتزداد فترة مكوثنا معًا أكثر، حتى ولو غلبها الصمت فى معظم الوقت.

إنهُ وقت الغروب، نسمات الهواء الخريفية التى تُعلن عن دخول الشتاء فى هذا الوقت، السير بخطوات خفيفة، جعلتنى هذه الأجواء استرجع الحياة من جديد، لأتنهد وأسرح كالعادة فى الطريق، ثم دخل زين فجأة لتوه مطعم(ماك)، لأدخل أنا أيضًا خلفهُ فى تعجب وصمت وذهول وأقول فى نفسى: "يمكن جعان!"

سِرت خلفهُ كالقائد الشجاع والجندى الصغير وأنا لا أتفوه بكلمه ولا أسأل عن سبب تواجدنا هنا، ثم سمعتهُ يقول:

="عايز اتنين صن داى بالشوكولاتة والكراميل".

لتنطلق منى الكلمات بسرعة السهم وكأن فمى قد تحرر من قيودهُ:

-"لأ".

لينظر لى فى تعجب، ثم أكملت فى ارتباك وخجل كطفلة متمردة:

-"قصدى لأ يعنى أنا عايزة فراولة، أنا بحب صن داى بالفراولة".

ليضحك زين ونأخذ الصن داى ونرحل وأنا أتساءل فى داخلى بذهول:

"يا ربى عرف منين إنى بحب الآيس كريم؟"

ظل هذا السؤال معلق ثم تبعه سؤال آخر:

"هو بيعرف عنى كل ده ازاى؟!"

بالطبع كنت أحتاج لإجابة قاطعة تنهى كل هذه التساؤلات بداخلى، فكانت تصرفاتهُ وثقتهُ فى كلامه وخطواته دون حتى أن يطرح علىّ سؤالًا واحدًا تدهشنى، وكأنه يعرفنى منذ زمن، وكأنه يعرف أشياء أنا لا أعرفها عنى، وكأنى أكتشف معهُ نفسى من جديد، وعالمًا آخر بعيدًا عن الخيال والواقع، عالم غريب ومختلف.

وصلنا إلى المنزل ولم أستطع منع نفسى من السؤال، التفت له وقلت:

-"أنت مجنون على فكرة، عرفت منين إنى بحب الآيس كريم، وإنى بحب كل ده؟ وبلا، بلا، بلا، وكل حاجة! ازاى ماتوقعتش لحظة إنى أطلع مابحبهمش!"

="لأ، وبعدين أنتِ مش هتبطلى أسئلة بقى؟!"

صمت لأدخل منزلى ليوقفنى وهو يقول:

-"منة".

="نعم؟!"

-"ماتنسيش تقرأى الكتاب".

أومأت برأسى وأنا أبتسم:"أكيد!"

دخلت المنزل وأنا أرقص من الفرحة وقلبى يرفرف ويدق بعنف شديد، أحمل الكتاب وأحتضنه بشدة، رغم غرابة اليوم وغرابة كل شىء يحدث لى ولكنى لن أنكر أنى تملكتنى سعادة الكون كله، اليوم أعترف للعالم إنه جميل وأشكره على منحى هذا اليوم، نظرت إلى السماء وعيناى تلمعان، أشعر بالاكتفاء وأنى أميرة عالمى الذى ظننت أنى وحدى من يعيشهُ، وأنه لن يوجد أحد يتفهمنى بسهولة دون شرح معقد أو مبسط لتفاصيلى المدفونة، اليوم أعترف أنى كنت خاطئة.

استلقيت على سريرى بعد ارتداء بيجامتى وإعدادى لكوب قهوة دافئ، أشعلت المصباح بجانبى ليصدر ضوء هادئ واستلقيت بكل ما تبقى لى من طاقة أحمل كتاب"طه الغريب"، الذى أعطاه لى هذا الغريب أيضًا، والذى أعتقد بلا شك أن هناك تشابه كبير بين بطل هذا الكتاب وبطل أيامى الحالية والقادمة، أعتقد غرابة كل منهما، ولكن كيف يبدو

طه؟

فتحت أول صفحات الكتاب لأعرف اللغز المشترك بينهما وبدأت أقرأ أول كلمات هذا الكتاب.

"ها هى ليلية أخرى قد مضت،

سعادة لحظية تمر بها ثم تعود ثانية لفكرك الذى يخنقك".

أرسل لى على واتس آب وكأنه أهدانى قطعة منهُ يطمئن عليها:

–"بدأتى؟"

="أه، وصلت لنصهُ".

–"عاش".

="ريحتهُ حلوة!"، لم أكن أمزح.

–"أه ما أنا بحطهُ بين هدومى"، قال بسخريتهُ المعتادة.

="يا بارد!"

كالعادة لم تفشل الكتب فى جعلى أشعر بالونس، فدائمًا ما يحمل الكتاب رائحة صاحبهُ، حيث انتقلت رائحة صفحات الكتاب إلى ذهنى، ومع كل كلمة أقرأها كانت تُعد استرجاعًا للحظات قضيناها معًا وأشعر وكأن زين معى الآن.

أرسل لى زين فجأة:

-"تعرفى، الكتاب ده أكتر كتاب بيحكينى".

دق قلبى فى قلق بعد معرفتى هذا، وكأنه باعترافه هذا يعطينى سرًا قيمًا لأحتفظ به، لطالما كنت أخاف الاقتراب والتعمق من الآخرين، لطالما شعرت بأن التعمق يفسد جمال وروعة كل شىء، حتى الأشخاص على سطحيتها أجمل بكثير من حفرة قد تغرق فيها دون نجاة.

أنفاس متقطعة

استيقظت فى الصباح لأجد نفسى أحتضن الكتاب، يبدو أنى غفوت مجددًا وأنا أقرأ، أتذكر كلمات جدتى لى فى كل صباح عندما أغفو وأنا أقرأ وتتساقط منى الكتب دون وعى،"هو أنا كل شوية هصحيكى وألملك كُتبك من عالأرض". أضحك كلما أتذكر هذا وأتوقع إذا كانت هنا حتمًا ستقول:"واشمعنى بقى الكتاب ده ماوقعش منك!"، كم أعشق عبثية جدتى الممزوجة بخفة ظلها ونظراتها لى التى تربكنى وتفضح بها كل شىء بداخلى، نظرت إلى هاتفى لأجد ثلاثة مكالمات فائتة من أمى لأعاود الاتصال بها فتقول:"إيه كل ده نوم! أصحى بلاش كسل أحنا بقينا الضهر".

قلت لها وأنا أتثائب:

="خلاص صحيت أهو".

فركت عينى لأستعيد نظراتى الواضحة وأنظر حولى لأتأمل الفوضى العارمة فى الغرفة وأنسى أمى على الهاتف، لتصرخ أمى وهى تقول:

-"منة! أصحى يا كسولة!"

="صحيت، صحيت والله".

-"إيه الأخبار؟ كله تمام؟"

="تمام ماتقلقيش".

أغلقت الهاتف بعد أخذ قائمة من التعليمات والنصائح الموجب تنفيذها، ثم حمدت الله أنها ليست هنا لترى هذه الفوضى، فلطالما كانت أمى منظمة، نشيطة، جدية وصارمة، على عكسى تمامًا، لطالما كانت تغضب منى بسبب غرفتى المكركبة، دائمًا.

وقفت على أطراف أصابع قدمى وفردت ذراعى وظهرى إلى الخلف لأستعيد نشاط جسدى، تساعدنى هذه الحركات التى تعلمتها سابقًا فى دروس الجومباز -القليلة- فى التخلص من بعض الكسل.

اتجهت إلى شرفة المنزل أنظر إلى العالم الخارجى بذهن شبه صافٍ، لا يخلو ذهنى من الأفكار المبعثرة أبدًا لهذا لم أشهد لحظة الصفاء الذهنى المكتامل، ولكن اليوم أواجه العالم، أغمض عينى وأبتسم. ثم توجهت بنظراتى أتفقد هذه الشرفة المجاورة لى، شرفة زين، ما زالت مغلقة ولا أصوات تصدر من الداخل -على غير المعتاد- بلا شك ما زال مستغرقًا فى النوم، فهو شخص كسول للغاية، أتذكره يقول لى:"أنا كائن بيتوتى".

أستمر فى التحديق وأنا أبتسم، وكأنى أنتظره يخرج الآن ليشاركنى هذه اللحظات. كان ظهورهُ المفاجئ فى حياتى غريب نوعًا ما، مرعبًا قليلًا ولكنهُ جميل بالنسبة لى، فكنت دائمًا أبحث عمن يعيد لى أنفاسى المكتومة، يتفهمنى دون شرح طويل، يعطينى دفعة لتغير كل شىء.

كيف جعلتنى بهذا البريق يا زين؟ أنت حقًا غريب كطه الغريب فى رواية أمس.

ثم تذكرت رواية أمس التى لم أنهيها، والأعمال الكثيرة المؤجلة على قائمة أعمالى، يا إلهى!

جلست على مكتبى للتو أتأمل كل الأوراق المبعثرة هنا وهناك بلا جدوى، ثم قبعت على هذا الكرسى حتى المساء وعزمت على إنهاء هذه الأعمال.

فى المساء وبعد يوم مرهق، هاتفتنى أمى لتخبرنى أن أبى يمر بوعكة صحية سيئة وأنه قد نُقل للمستشفى، كان هذا الخبر كوقع الصاعقة.

اتجهت مسرعة إلى هناك، كنت فى حالة مزرية، فهذه هى المرة الأولى التى ينتابنى فيها الشعور بالقلق والخوف إلى هذا الحد.

أنا أحب أبى كثيرًا، رغم أنه لم تسمح لى الفرص سابقًا فى التعبير عن هذا الحب بطريقة يستحقها، فكنت دائمًا انطوائية، بعيدة، والآن أتمنى لو

أن يستفيق لأقول له إنى حقًا أحبه وإنى لم أعن أى جفاء فى مشاعرى.

أغرورقت عيناى بالدموع عندما رأيته من خلف هذا الزجاج مستلقيًا وسط هذه الأجهزة التى تصدر صوتًا مثل الطنين، ربتت أمى على كتفى ثم احتضنتها.

مرت ساعتان من الخوف والقلق ودقات القلب، حتى جاء الطبيب ليطمئننا بأنه أصبح بخير وأنه سيعود معنا إلى البيت غدًا، سعدت كثيرًا، فبأى حال من الأحوال لم أكن أفضل فكرة مكوثه هنا فى هذا المكان الميت، الشبيه بمقبرة فوق الأرض.

عدنا إلى البيت فى اليوم التالى، بعد أن صرح الطبيب لأبى بمغادرة المستشفى مع الالتزام بالراحة وكل شىء من هذا القبيل.

قررت أن أذهب معهما بدلًا من الذهاب إلى منزل جدتى مرة أخرى، تعجبت أمى لهذا فى سعادة، قررت أن أقضى هذه الأيام بجانبهما؛ فأنا أشعر حقًا أنى أفتقدهما بما تحمل الكلمة من معنى.

وصلنا إلى البيت وجلس أبى فى غرفته ليرتاح ومعهُ أمى، تركتهما وحدهما لدقائق ودخلت غرفتى أرتاح قليلًا، أرتاح من كل شىء وأعيد ترتيب أفكارى وأفعالى وكل قرارتى، لم أكن أعلم أن الاختيار صعب لهذه الدرجة.

شعرت بصداع يدمر عقلى، بدلت ملابسى وسحبت حقيبتى لأخذ مسكنًا، ثم وجدت كتابًا بها، الكتاب الذى أعطاه لى زين، ابتسمت فور رؤيته رغم الألم، كان متبقيًا منهُ صفحات لينتهى، لذلك عدت أستأنف القراءة حتى منتصف الليل، حتى وصلت إلى نهايته التى جرحتنى كثيرًا عندما قُتل طه بطل هذه الحكاية المؤلمة بعد أن تعايش مع الآلام المفتتة، لم أتوقع هذا ولكن أغرورقت عيناى بالدموع لشعورى بأن زين بطل أيامى يتألم هكذا، هل حقًا يتألم زين هكذا؟ ما هذا الهراء يا منة! إنه كتاب ولطالما كان تأثير الكتب علىَّ كبيرًا جدًا لدرجة تغير حالتى المزاجية، كنت أتعايش مع الكتب وكأنها حقيقة، وكأنى جزء من أبطالها، ولكن هذا فى النهاية كتاب ما علاقة زين!

دخلت أمى غرفتى بهدوء لأترك الكتاب من يدى وأنظر لها باهتمام، ثم اقتربت منى وقالت:

-"أنتِ لسه ماروحتيش؟"

="لاء أنا هاقعد معاكوا الفترة دى، مش قادرة امشى واسيبكوا".

ابتسمت أمى كثيرًا واحتضنتنى ثم غطتنى لأنام وقبلت وجنتى وقالت:

-"تصبحى على خير".

ثم أطفأت الضوء وخرجت، فأخرجت هاتفى تحت غطائى وفتحته

لأتفقد الأخبار، ثم وجدت نفسى أرسل رسالة إلى زين وكأنى أفتقده حقًا فى هذه الأيام.

-«أنا خلصت الكتاب، جميل ومؤلم جدًا».

=«الكتاب ده من أقرب الكتب ليا، بيمثلنى وبيثبت إن التعايش من الألم ممكن، وأكثر كتاب أثر فييا».

تعجب حقًا من هذا ولكن ليس لدى عقل الآن ليساعدنى على تحليل الأمور والتفكير أكثر لذلك اكتفيت بقولى:

-«أه وأثر فيا أنا كمان».

ثم أغلقت الهاتف وأغلقت عينى لأنام، وأغلق بالنوم صفحات هذه الأيام، ليرحل كل شىء معها.

ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلًا

تمر هذه الأيام ببطء شديد، على عكس سابقتها، لماذا كل ما هو ممل وحزين بطيء لنشعر به يفتت قلوبنا، على عكس اللحظات السعيدة التى تمر كنسمات الهواء لا نشعر إلا بمداعبتها اللحظية السريعة؟

لماذا نتألم ببطء؟

تحسنت أحوال أبى قليلًا، وهذا جعلنى أشعر بأنى أكثر هدوءًا واستقرارًا، لأطرق باب غرفته فى يوم أستأذن للدخول، دخلت لأجده يجلس ساكنًا شاردًا، بيده سيجارة يتناثر دخانها ليملأ الغرفة، وبيدهُ الأخرى كوب قهوة دافئ، كان ينظر أمامه فى شرود وتفوح رائحة التبغ من فمه لينظر لى فى اهتمام عندما اقتربت منهُ، أنظر إلى السيجارة فى غضب داخلى وأقول:

-"هو مش الدكتور قال نخفف سجاير شوية! وبعدين أنت مبقالكش يومين خارج من المستشفى!"

نظر لى وضحك فضحكت أنا أيضًا فى عبث، مد لى ذراعهُ لأقفز فى

أحضانهُ كطفلة ليضمنى فى حنان، فأشعر بخفقان قلبى وهو يرتجف وتتلألأ دمعة على عينى، فأنا حقًا أفتقر كل هذا الدفء فى احتضان أبى.

ليقول:

-"زمان كنت أنا اللى ببصلك بغضب لما أحس إنك هتإذى نفسك، فكنتى بتزعلى منى عشان كنتى فاكرة إنى بمنعك عن رغباتك اللى أنتِ حباها واللى فى نفس الوقت هتإذيكى، ودلوقتى أنتِ بتمنعينى عن رغبتى اللى هتإذينى بس أنا مستحيل أزعل منك، لأنك خايفة عليا زى ما أنا كنت خايف عليكى ودايما بخاف عليكى، أنا عمرى ما منعت عنك حاجة عشان بكرهك أو بضايقك زى ما انتى كنتى فاكرة، بس أنتِ طول عمرك عنيدة ومتهورة وأنا خايف عليكى من كل ده".

ملأت الدموع عينى وأنا أشعر بكل هذه الكلمات وتقفز إلى داخلى رعشة طفلة صغيرة يعاتبها والدها، ولكنى لم أعُد صغيرة الآن! فلماذا فى كل مرة أقترب فيها من أمى وأبى وأتحدث إليهما أشعر وكأنى رقيقة، ضعيفة وهشة أمامهما، أبكى بسهولة أمام كلماتهما وأحضانهما، ربما هذا سحر فضل الله به الوالدين دونًا عن سائر البشر، ليحتفظوا بمكانتهم مهما كبرنا نشعر بضعفنا أمامهم مرة أخرى. أعيد كلماتى مرة أخرى فى ثقة وعزيمة بصوت مسموع وأقول:

-"بس أنا مش صغيرة! أنا مابقتش صغيرة، صح؟"
يضحك أبى على كلماتى وينظر لى بفخر ويقول:
="طبعًا! أنتِ طول عمرك كبيرة مع كل الناس، وفى نظر كل اللى حواليكى، إلا أنا، مهما كبرتى هفضل أشوفك أميرتى الصغيرة أم ضفاير وعروسة بتلعب بيها فى ركن صغير".
أضحك على هذا وأتذكر هذه الذكريات التى لطالما احتوت ركنها الخاص بداخلى مهما عز عليها العمر الشحيح بالمسميات، سأظل أتذكرها بلا شك.
مرت أيام الأسبوع ليأتى يوم الخميس، الخميس المنتظر والذى اتفقنا فيه أنا وزين على النزول والتسكع قليلًا، ولكن الأمر بدا مشوقًا ومختلفًا حين قال لى زين:"هاخدك مكان هتحبيه، أنا واثق من ده". لو يعلم أنى أيضًا كلى ثقة من هذا، أصبحت أترك نفسى، أنساها معهُ، أستسلم وكأنى متأكدة أنه يعرف الطريق جيدًا لكل شىء، يأتى لينير كل بقعة بداخلى ولم أبذل أى مجهود لأشرح له شيئًا أو أسأل عن شىء، فقد أُغمض عينى وأذهب إلى حيث يأخذنى، أتوه فى فضاء واسع المدى من العشوائية.
ثم أفتح عينى فجأة وأفيق من كل هذا التفكير على صوت رسالة منهُ

يؤكد لى فيها أننا سنلتقى فى السادسة مساءً.
وصلت فى السادسة مساء إلى محطة المترو لأجدهُ ينتظرنى هناك، أراه فابتسم كالبلهاء وأصافحهُ ومن هنا تبدأ المغامرة، نجلس لننتظر المترو فى صمت فأقطعهُ أنا وأقول:
-"أنت عارف إنى بقالى فترة كبيرة مركبتش مترو!"
ينظر لى فى تعجب ويقول:
="وإيه كمان؟"
أكمل:
-"وبقالى كتير مادخلتش سينما، حاجات كتير كنت ببقى عايزة أعملها بس كنت بلاقى نفسى لوحدى فمابعملهاش، محدش كان بيبقى متحمس لحاجة بحبها خالص لدرجة إن فى حاجات كتير بطلت أعملها بسبب كدا".
لينظر لى باهتمام ويقول:
="وبعدين؟"
-"خسرت كل الحاجات اللى بحبها وتدريجيًا حسيت إنى بخسر نفسى، فقررت اتخلى عن كل ده لحد ما..."
نسمع صوت المترو يأتى فنضحك ونقفز من مكاننا حتى لا نضيعهُ

ونتأخر عن وجهتنا - التى لا زلت لا أعرفها حتى الآن- نظر لى زين وقال:

-«المترو زحمة جدًا اركبى عربية سيدات وانزلى محطة السادات».

أومأت برأسى فى حماس وأسرعت للركوب، ثم نظرت حولى وسط الزحام، فأنا حقًا أكره الزحام وأختنق، ولكنى وجدت لنفسى مكانًا فى الخلف لأقف أستند على الباب وأنظر من زجاجه الشفاف أتأمل كل شىء كأنى أراه للمرة الأولى، أغرق فى حب الطرقات مع صوت الموسيقى فيخفق قلبى ويستكين.

I know there something in the wake of your smile

I get a notion from the look in your eyes, yeah

أنا لا أعلم ولكن هل أنا حقًا غارقة أم ماذا؟ بالطبع كنت أركب مترو وأستمع إلى موسيقى سابقًا، وحدى كثيرًا - وأحيانًا مع الآخرين- ولكن هذه هى المرة الأولى التى أشعر بالحياة فى كل لحظة وكل شىء بجانبهُ، أشعر بحلاوة كل شىء معهُ، حتى هذا الزحام الذى أكرههُ، هل هو ساحر يخطف العقل والقلب والذات معهُ؟ أم إنه لص؟ أشك فى ذلك!

Listen to your heart, when he’s calling for you

Listen to your heart, there nothing else you can do.

انتبهت إلى صوت المسجل يقول:"المحطة الحالية محطة مترو السادات سيتم فتح الأبواب جهة اليسار". لأطفئ الأغانى وأستعد للهبوط إلى أرض لم أتيها منذ أن كنت فى الحادية عشر تقريبًا!

نزل زين أيضًا وسرنا لنخرج من محطة المترو إلى شارع التحرير بوسط البلد، كان وقت غروب الشمس حيث دُمجت ألوان السماء لتشكل لوحة فنية فوقنا، يبتسم زين وهو ينظر إلى السماء ويقول:

="الله! أنا بحب الجو ده!"

لأقول فى مفاجأة:

-"وأنا كمان!"

سرنا بخطوات بطيئة نتجول فى هذه الشوارع البسيطة القديمة، لينظر لى زين ويقول بنبرة أحبها كثيرًا:"يلا نتوه سوا"، فتلمع عينى وأضحك وأوافق فى حماس، فأنا لا أمانع أن أتوه معهُ وأفقد كل ما أملك فقد لأمتلكهُ.

سرنا حتى وصلنا أمام أحد المبانى الفخمة والقديمة، كان المكان غريب قليلًا -على الأقل بالنسبة لى- فلم آتى هنا من قبل.

وقفنا ننتظر المصعد الخشبى المتهالك أيضًا والذى حتمًا يسير بسرعة السلحفاة، ولكنه أرحم من أن تصعد على قدميك للطابق السادس على

هذه السلالام العالية! شعرت بربكة قليلة حاولت أن أخفيها حتى لا يلاحظ زين، فأنا أخشى هذه المصاعد منذ أن تعطل بى واحد وأنا فى السادسة من عمرى، علقت وقتها وخرجت منهُ بمعجزة كما يقولون، ومنذ ذلك الحين وأنا أخشى المصاعد الكهربائية فما بالك بمصعد متهالك! دخلنا المصعد وأنا أتنفس بصعوبة ليلاحظ زين ويسأل:

-"مالك؟"

="لا مفيش عادى".

تحرك المصعد ببطء شديد مما جعلنى أشعر بأننى سأظل فى هذا المكان حتى الغد، ثم وجدت زين ينظر لى بدقة واهتمام، ليقترب منى ببطء شديد وتزداد نظراتهُ التى تربكنى، أخذ يقترب خطوات نحوى لأبتعد للخلف حتى التسقت بجدار المصعد ولم أجد مساحة أرجعها ثانية، ثم قلت فى قلق:"فى إيه؟ أحنا فى اسانسير محترم على فكرة!"

أصبحت كالمحاصرة، ثم دب بيده فجأة بجانبى على جدار المصعد الذى كنت أستند عليه وما أن فعل هذا حتى توقف المصعد، اتسعت عيناى ودفعته إلى الوراء وأنا أتحدث فى هلع، أحاول أن أنادى أحدًا لينقذنا ولكن لا جدوى، ارتعبت وشعرت بأنى سجينة فيلم مغامرات حقيقى وأنى بلا شك سأقضى حياتى كلها هنا ولن أستطيع الخروج،

سيطرت عليّ كل هذه الأفكار البلهاء نتيجة الخوف والذعر لأنظر إلى زين فأجده يضحك، ثم أتعجب له وأقول فى ذهول: "أنت معندكش دم! بتضحك ليه فهمنى؟ وإيه المكان ده أصلًا!"

اقترب منى مرة أخرى وقال وهو يضحك وكأنهُ -كالعادة- انتصر:

="إيه ده أنتِ طلعتى بتخافى من الأسانسير!"

لكزته فى كتفه وقلت له:

-"بطل رخامة وورينى هتخرجنا إزاى يا أستاذ".

ليضغط على زر فى الجانب فيعمل المصعد بسهولة وكأن شيئًا لم يكن، فأفقد وعيي، يحاول زين شرح الأمر:

"كنتى واقفة جمب الزارير فقربت منك وبصيت لك بتركيز عشان ترتبكى وماتحسيش بيا وأنا بدوس على زرار اللى بيوقف الأسانسير".

أشعر كم أنا حمقاء مغفلة، نصل إلى الطابق السادس وألكزه انتقامًا منهُ على هذا، أخرج وأنا أقول فى غضب وتحدٍ:

-"يعنى دى حركة من حركاتك السخيفة؟ ماشى قابل بقى اللى هيحصل لك".

ليقول فى ثقة:

="هتعملى إيه؟"

-"ملكش دعوة".

يضحك ويقول:

="شكلك حلو وانتى خايفة".

فأضحك رغمًا عنى، وكأن ضحكتهُ هى كل ما أريد لأضحك فى وسط غضبى وتذمرى.

وقفنا أمام لوحة صغيرة وكأنها محفورة بجانب شقة مكتوب عليها: "ق جاليرى". ما أن قرأت الاسم حتى لمعت عيناى، فلطالما حلمت بزيارة هذا المكان كثيرًا، ولكن كالعادة لم أجد من يشاركنى فاكتفيت بمتابعته على السوشيال ميديا فقط.

دخلنا هذا المكان وأنا أتأمل كل تفاصيلهُ، فأنا أهتم بتفاصيل الديكور، جذبتنى هذه الجدران الملونة والمغطاة بالفن والرسومات وكأنها لوحة تعبر عن تمرد واختلاف المكان، وبالطبع تميزه من كل النواحى، كم أحببت الأماكن التى تهتم بالفن والموسيقى لأرى جزءًا من نفسى ينتمى إلى هنا حيث شعرت بالراحة، فأنا لا أرتاح للأشياء وكذلك الأشخاص بسهولة، كل شىء يحتاج إلى نفس عميق ووقت حتى(تاخد عالجو)، ولكن هذا المكان هو من أخذنى وأخذ جوى لتأخذنى قدمى أيضًا إلى هذه الشرفة التى تنتمى إلى هذا المكان بكل ما تحمل من

بساطة وهدوء.

لا يوجد مصدر كهربائى للضوء بها، كل شىء متروك للنجوم التى تمردت وتلألأت فى سماء مظلمة أيضًا لتظهر بوضوح وتنير كل ما حولها. شعرت بالراحة، اقتربت من سورالشرفة وأمسكت به ونظرت إلى السماء وتطايرت أحزانى التى دفنت بداخلى، تطاير القلق مع هذا الهواء الدافئ وتلاشى كل الإرهاق والتعب واستعدت روحى المفقودة لى مرة أخرى.

جلسنا أنا وزين على هذه الكراسى الملونة فى الشرفة، استدنا إلى الحائط وأرحنا رأسينا إلى الخلف ناظرين إلى السماء وشكل النجوم وكل منا يحاول البحث عن نجمهُ المناظر لهُ، ثم رفعنا أقدامنا على هذا السور ونظر كل منا إلى الآخر يضحك، ثم قال لى زين فى هدوء وهو يتأملنى:

-"أحكى لى عن أحلامك".

لأنزل قدمى من على السور وأقف مرة أخرى محدقة إلى أعلى -فى السماء- ثم أخذ نفسًا وكأنى على استعداد لإلقاء أهم الكلمات التى بداخلى وأقول فى حماس طفلة محلقة عاليًا:

="نفسى أبقى عظيمة، قوية وناجحة ومتحررة من كل القيود اللى بتضايقنى أعتقد إن ده حلم كل بنت فى الوقت ده، بص أنا معنديش

مشكلة مع القيود ولكن مابحبش الحاجة اللى تضايقنى، نفسى أعمل كتاب وأغير العالم بكتاباتى وابقى كاتبة مشهورة.

نفسى يبقى عندى القدرة إنى أقرأ كل الكتب اللى فى العالم وأعرف بتحكى عن إيه وإيه جواها، أنت عارف إن الكتب دى سحر؟ تحس إن مالكها يقدر يملك العالم كله ويعيش حياته وحياة غيرهُ، نفسى أملك العالم.

نفسى أسافر بلاد كتير وأكتشفها واحكى عنها كأنى لأول مرة أعرفها.

نفسى أحقق كل ده بسرعة عشان الحياة قصيرة أوى ومش هاتكفى كل اللى عايزة أعمله».

كان يستمع إلىَّ فى صمت غريب ثم وقف هو أيضًا بجانبى ينظر لى باهتمام، لأكمل أنا:

«أنت بتبص لى كدا ليه؟! بص أنا عارفة إنى خيالية جدًا، ولكن عندى أمل إن خيالى ده يبقى واقع وأعيشهُ، أصلك لو بصيت حوالينا هتلاقى إن كل اللى احنا عايشين فيه ده كان مجرد خيال، خيال ناس فى منهم مات ومنهم عايش، أصل مين كان يصدق إن فى يوم من الأيام هيبقى فى إنترنت وكمبيوتر صغير متنقل أو طيارة تنقلك بين الأماكن بسهولة».

ظل يتأملنى وهو صامت، وكأنه يستمع إلى إحدى الحكايات العجيبة فى

هذا الزمن، لأكمل:

«أنا عارفة إنك ممكن تكون شايفنى مجنونة زى كل الناس اللى تعرفنى، بس عارف، أنا أول مرة أتكلم عن أحلامى بالطريقة دى، هو، هو أنا مجنونة بجد؟»

–«بح...بحبك». يقولها وكأنه فقد وعيه بطريقة غير مفهومة أو واضحة تمامًا لسماعها.

أقول وكأنى لم أستعب، وكأنى كنت أنتظرها منهُ:

=«ههاااه!؟ أنت، أنت قلت إيه؟ أنا سمعتك، أنت قلت حاجة صح؟!»

–«لاء».

تتسع عيناى أكثر فى ذهول وأنا أقول:

=«لا بس أنت قلتها!»

–«قلت إيه؟!»

=«مش عارفة».

ثم صمتت وكأنى أنا من فقد وعيه حقًا، أعتقد إنه صوت عقلى الباطن مجددًا أو إنه خيالى من انتصر علىِّ مرة أخرى.

ثم تجاهلت الأمر وشعرت ببرودة الطقس يتسلل إلى جسدى فارتعش حتى لاحظ زين هذا فأخرج من حقيبته جاكيت ومد يده ليعطيه لى،

تعجبت له فكان يرتدى تى شيرت -نص كم- ومعهُ جاكيتًا يختبئ فى حقيبة ظهرهُ ولم يرتديه رغم برودة الجو، ثم قلت له فى نفس التعجب:

-«لا ألبسهُ أنت الجو برد جدًا وأنت لابس خفيف».

ابتسم وقال:

=«أنا بحب أحس بالبرد، بحب فكرة إنى بردان». لم يكن يمزح.

أخذت منهُ الجاكيت فى ذهول ولكنى كنت سعيدة لارتداءه حقًا على الرغم من أنه كان واسعًا قليلًا، نظرًا لعرض جسده مقارنة بجسدى الضئيل، ولكنى شعرت بالسعادة تغمرنى والدفء يحتوينى وكأنه هو من يحتضننى.

دقت العاشرة مساءً ونحن ما زلنا نتسلل خفية فى هذه الشوارع التى تشبه غموضنا وعبثيتنا، نضحك. يضحك فأضحك ويتعالى صوت دقات قلبى الصغير.

-«ما حاكيتليش يعنى عن موضوع الكتابة ده قبل كدا!»

قالها زين فجأة لأنتبه له وقلت محاولة استفزازهُ كما يفعل معى أحيانًا-:

=«ليه هو أنت فاكر نفسك الوحيد اللى غامض ومحدش يعرف عنك حاجة!»

ثم أكملت ببسمة:

="عشان بقالى فترة كبيرة مابكتبش".

-"ليه؟"

قلت فى نبرة شبه حزينة:

="قلت لك إن فى حاجات كتير بحبها بطلت أعملها، نظرًا إلى إنى مكنتش بلاقى حد من اللى حواليا مهتم أو فاهم اللى بعملهُ، ببساطة كله كان عايزنى أنا اللى اهتم بيه فى حين إنى مكنتش بلاقى ده".

-"بس ده غباء منك".

ثم نظر لى نظرته المعتادة التى تعد إشارة منهُ لأكمل كلامى.

أكملت وأنا أزفر الهواء فى هدوء:

="أنا بدأت كتابة وأنا فى سن صغير جدًا، وكان جدى بس هو اللى بيسمع لى وبيقرا لى وبالتالى بيشجعنى، كله كان شايف إن دى سخافات وحاجات طفولية ملهاش لازمة، معرفش ده كان غباء منهم ولا أنا فعلا كنت بكتب أى كلام، بس كنت بشوف نظرة جدى ليا ولكل حاجة بعملها كأنه إبداع، كان فخور بيا جدًا لدرجة إن فى اجتماع العائلة بتاع كل يوم جمعة كان بيخلينى أقف وأقول وأقرأ كل كتاباتى ويتحداهم إنى هانجح، بس هو مات قبل ما أكبر وماتت معاه موهبتى

دى، ما انكرش إنى كنت مُصرة على إنى أكمل واكسب التحدى نيابة عنهُ عشان يكون فرحان بيا وهو ميت، بس محدش اهتم، ومن ساعتها وأنا مابكتبش غير كل فين وفين وبتعمد إنى أخبى كتاباتى دى محدش يشوفهم عشان ما أصابش بمرض الإحباط الدائم.

بس عارف، أنا أتعلمت كتير من كل ده".

قال لى ليؤكد إنه ما زال على قيد الحياة يستمع لى فى اهتمام:

-"خلينا متفقين إن كل اللى أنتِ فيه ده بسبب اختيارك أشخاص غلط، أنتِ بنفسك حددتيهم وقررتى تديهم مساحة أكبر منهم، فإنك تشاركيهم حاجات أنتِ بتحبيها وهما مش فاهمينها أو مستوعيبنها سواء كان أهلك أو أصدقائك أو، أو، أو، وده أحبطك بالفعل والدليل على كده إنك عندك موهبة مكبوتة مش عارفة تخرجيها أو خايفة وده غباء منك بردو".

نظرت له متعجبة لرده الذى جذبنى كثيرًا وأراحنى كثيرًا، شعرت بأنى أريد أن أكمل هذا الحديث معهُ دون ملل أو توقف، فأسرعت وقلت:

="طب هاعمل إيه؟"

- ببساطة ارجعى اكتبى تانى".

="إزاى! معنديش شغف، حاسة إنى مش هاعرف أو هاهبل وأعبط".

قال بنبرة تحدٍ أشعلت بداخلى نار الحماس:

="حاولى، ومش هتخسرى حاجة".

ابتسمت له وشعرت براحة الحديث معهُ، شعرت بأنى تخطيت هذا الحاجز المنيع الذى بداخلى وأخيرًا تكلمت وتحررت كلماتى دون خوف أو قلق، أخيرًا أخرجت كل ما كُبت منذ سنين وليالٍ وأيام.

شعرت بأنى أريد أن أعانقهُ على ما أعطاه لى من راحة قلب، ولكن صوتًا بداخلى يقول لى:

"أحم، أحم، فوقى يا منة!"

حسنًا...سأفيق.

الخوف من الفقد يسبب الفقد

استيقظت على نبرة صوت أمى الصارمة والعصبية وهى تقول:

-«منة! أنتِ كنتى فين أمبارح كل ده؟ وماغيرتيش هدومك ونايمة بلبسك، هاتفضلى لحد أمتى فوضوية؟»

أبستم فى سخرية وأقول:

=«لحد ما أنتِ تقتنعى إن أنا مش فوضوية، وإنك ظالمانى بالنضافة الاوفر دى يا ماما، مش عارفة أعيش».

لكمتنى على كتفى فى مزاح وقالت:

-«طيب يللا قومى غيرى هدومك وهاتيها عشان هاغسلها».

أقوم بعينين ما زلتا ناعستين وبحركات متكاسلة، أقوم بخلع الجاكيت لأتعجب فجأة وأقول وكأنى أفقت من غيبوبة:

=«الجاكيت!»

تنتبه أمى لهمهمتى وتقول:

-«إيه؟»

أحاول ألا أشعرها بشىء فأقول:

=«مفيش، أنا هاغير وأجبلك الهدوم لحد عندك».

ثم قبلتها لتخرج من الغرفة وأغلقت الباب على الفور وأنا أنظر للجاكيت وأتذكر أمس وأضحك، لقد نسى زين جاكيتهُ معى ليلة أمس.

لحسن الحظ أنى أملك واحدًا يشبهه مع اختلاف بسيط فى درجة اللون -الرمادية- ولكن هذا لن تلاحظه أمى فسأعُفى من مرحلة التحقيق معى فى أمر هذا الجاكيت.

جلست على مكتبى أحاول العودة للكتابة مرة أخرى -بعد أن فات أسبوع واحد على أخر محادثة بينى وبين زين- ولكن لا جدوى، لا أفكار بداخلى، لا شىء لأصفهُ، تهرب الكلمات منى كالصقر الطائر، تحلق بعيدًا عنى ولا أعرف كيف أمسكها مما جعلنى أشعر حقًا بالعجز.

ثم قررت ألا أضع نفسى تحت ضغط وحاولت أن أهدأ، فضلت عدم التحدث إلى زين فى هذا الأمر -بما إنه لم يتحدث فيه معى مجددًا- ثم حاولت أن أهدأ وأتذكر كيف كنت أكتب وماذا وأين، ثم تعقدت الأمور بداخلى.

شعرت أنى أريد التحدث إلى زين، أنا بحاجة إليه، إلى كلامهُ ولكنهُ

اختفى منذ أسبوع ولم أعرف عنهُ شيئًا، وكانت هذه مدة طويلة بالنسبة لنا -حيث أننا كنا لا نفووت يومًا دون كلام- شعرت بأن هناك ما ينقصنى، ثم خفت فجأة ودق قلبى مسرعًا وانطلق هذا الصوت المرير الذى بداخلى يقول:

-"أنتِ حبيتيه؟"

دق قلبى بعنف وقلت بصوتٍ عالٍ، رغم أنى فى الغرفة وحدى:

="لاء، لاء، بلاش جنان، أنا ماحبتهوش لاء".

ثم أكملت محاولة إنكار إجابة هذا السؤال الذى بداخلى فى سخرية:

="أحنا مجرد صحاب، عادى يعنى ومفيش حاجة".

"لماذا تهربين من حقيقة مشاعرك، لماذا تصارعينها، لماذا تخوضين معركة محاولة إنكارها، هل أنتِ خائفة من الوقوع فى الحب مرة أخرى؟ أم من الخسائر الناتجة عنه؟"

مر يومان آخران على هذه الحالة التى أنا بها -عادية كما حاولت إقناع نفسى- لكن لا يهم.

اتفقنا أن نلتقى أنا وليلى اليوم، فى الحقيقة كانت هذه عادة اتخذناها منذ أن افترقت كل مِنا فى جامعة مختلفة، نختار يوم لنلتقى، نحكى ونضحك، ونشكو همومنا.

تفاديت إرسال الرسائل إلى زين منذ فترة بعد عدم ردهُ على رسائلى الأخيرة وعدم محاولة الاتصال بى، بعد أن اختفى تمامًا ولم أعد أعرف عنهُ شيئًا سوى أخبارعابرة قليلة من السوشيال ميديا بين الحين والآخر تقول لى إنه ما زال حيًا يُرزق. شعرت بأنه يريد الابتعاد لسبب غير معلوم، شعرت بأن هناك شىء ما لا يريد إخبارى به، فصمتّ بعد محاولات عديدة -فاشلة- للوصول إليه، ولكنه تجاهلنى تمامًا، كان هذا مؤلم جدًا بالنسبة لى، أعلم أنى أتألم لهذا التصرف وكل هذا البعد، ولكن ماذا بيدى لأفعلهُ؟

تركتهُ، أو أنى قررت أن أصمت وأتركهُ وذلك لإدراكى أنه يأتى علينا وقت من الأوقات يحتاج فيها الإنسان أن ينفرد بمساحته الشخصية، يفكر، لطالما أدركت أن احترام هذه المساحة -الشخصية- وعدم تعديها أمر واجب لا بد منهُ.

أحيانًا أخاف التمسك بالآخرين والتعلق بهم، أخاف فقدهم، حتى لا أفقدهم بالفعل. الخوف من الفقد يسبب الفقد، رغم أن كل شىء بداخلى يؤكد لى أنى خائفة من فقدهُ ولن أستطيع تحمل خسارتهُ، كان كل ما بالخارج مرآة معكوسة لنفى كل هذا، لن أتحمل خسارتهُ بالفعل، إذن لن أخاف من خسارتهُ، سأتجاهلهُ.

وربما هذا يثبت لى أيضًا أنى لست متمسكة به وأنه شخص عادى سأعيش بدونهُ، ما المشكلة فى اختفاءهُ؟ قررت ألا أعيره انتباه، لكن حدث عكس هذا تمامًا، حدث ما كنت أخشاه.

شخص آخر

مرت ساعة، تقابلت أنا وليلى فى محطة مترو السادات -أنا من رشحت هذا المكان- ربما لأنى اشتقت إليه ولأثبت أنى أستطيع فعل كل ما كان يربطنى بزين، الذهاب إلى نفس الأماكن والاستماع إلى كل الموسيقى وكل شىء وحدى وبدونهُ، الحياة ليست متوقفة عليه، على ما أعتقد! الأمر صعب، أعلم ذلك، لكن ليس من سهل على وجه هذه الأرض -هو من علمنى ذلك– كل طريق يحتاج لمُعاناتهُ لنصل إلى ما نريد، ولكن الخوف بعد الوصول فنكتشف أن كل ما مررنا من خلاله وعبرنا له كل هذه المعاناة هو كذبة.

لا بأس، ارتفع صوت ليلى بجانبى لتقول:

–"إيه المكان الغريب ده؟!"

أقول لها فى نبرة عادية:

="دى وسط البلد".

–"أيوا بس أول مرة تختاريها، يلا مش مهم اهو تغيير".

تضحك فأضحك ونسير فى شوارعها -نفس الشوارع التى مررنا بها من قبل- فأتذكره بداخلى وأتألم، فيزداد صمتى وشرودى، تقاطعنى ليلى بمزحها المعتاد وتقول:

-"اللى واكل عقلك".

ضحكت وقلت لها فى هدوء:

="أتعرفت على واحد..."

لتقاطعنى بنبرة متفاجئة وتقول:

-"واحد! من غيرى!"

نظرت لها نظرة متحفزة وبداخلى ضحكة أحاول كتمها، ثم لكزتها وأكملت فى شرود:

="شخص غريب، غريب جدًا وبس، هو ده كل اللى أقدر أقوله بس كدا".

لتقول فى سخرية ممزوجة بجدية مزيفة:

-"مممممم، الموضوع شكله كبير، أحكى لى طيب عنه".

نظرت لها نظرة فى لا مبالاة على سخريتها ثم ضحكت، لطالما أحببت مزاحها وحسها الفكاهى الذى يتحدى هذه الدراما التى تسيطر علىّ.

أكملت وأنا أقول فى تردد:

="مش عارفة، حقيقى مش عارفة، مش عارفة أتكلم عنهُ، أو مش عايزة".

لاحظت ليلى هذه النظرة الحزينة فى كلامى ولكن فضولها لم يمنعها، قالت بشفقة بسيطة:

-"مالك؟ أنتِ كويسة؟"

ضحكت وأنا أقول:

="أيوا ما تقلقيش، عادى يا بنتى مفيش حاجة".

لم ترتح ليلى للأمر ولكنها توقفت عن الكلام والسؤال لمعرفتها بأنى لن أتكلم، ثم سرنا وسرنا وبدأت فى التحدث لا إراديًا -وكأنى شخص آخر- عن هذه الشوارع، وما قاله لى زين عنها وعن ق جاليرى الذى مررنا به وصممت أن ندخله لأريها إياه، ولكن أعتقد أن ليلى كادت تفقد عقلها من حديثى السريع المبهج، كنت أتحدث بلهفة وسعادة جعلتها تتعجب لأمرى، لتضع يدها على جبهتى وتتحسهها وتقول:

-"منة حبيبتى، أنتِ سخنة ولا حاجة، مالك يا ماما أنتِ كويسة؟"

أتعجب لها وأقول:

="أه ما لى! أنا كويسة فى إيه؟"

ثم قالت بسرعة وكأنها غير مدركة ما يحدث:

-"بتتكلمى بطريقة غريبة ومختلفة، وبتقولى حاجات لأول مرة أسمعها منك، حساكى متغيرة، لاء أنتِ بالفعل أتغيرتى وما بطلتيش كلام عن اللى اسمهُ زين ده فى كل حتة نروحها لازم تذكريه، وبلهفة، لهفة غريبة، فى إيه؟"

أقول وكأنى أنا من يحاول استيعاب ما يحدث:

-"أنا! أنا بتكلم عادى! ما لها طريقتى؟"

سألتنى ليلى فى قلق:

="منة، مين زين ده؟"

-"ده شخص أتعرفت عليه، وأثر فيا جدًا، واختفى!"

="ليه؟ حصل منك حاجة؟"

صمتّ لأنى حقًا لا أعرف ماذا أقول، لتتحدث عيناى المليئتان بالحسرة نيابة عنى، فأنا حقًا لا أملك إجابة لسؤال لماذا رحل؟ وماذا حدث بيننا؟ لقد كنا قريبين، متفاهمين، ماذا حدث؟

لتصمت ليلى أيضًا للحظات ثم تقول:

-"تحبى نروح؟ يلا نروح".

أومأت بالإيجاب وبداخلى أفضل المكوث هنا طوال حياتى فى هذا المكان الذى يُعد كالسجن الذى سُرق فيه قلبى وعقلى، هذا المكان الذى يحمل

كل ذكرى وكل حكاية منذ البداية.

أزمة

أزمة، إنها حقًا أزمة.

استلقيت على سريرى محدقة فى السقف، محاولة منى لأتخلص من كل هذا، كل ما وضعت نفسى فيه، هذه المشاعر التى لا تنطق إلا بالبكاء ولا أتفهمها، ثم أضع يدى فجأة على وجهى -لتغطيه- مُعلنة الفشل واليأس.

من أنت يا زين وماذا فعلت؟

فى البداية، الموسيقى ثم الكتب، والحديث معك وهذا المكان الذى يُدعى وسط البلد الذى أصبح ملجأى فى كل ضيق، أستنشق هواءهُ فأتألم أكثر لأنك لست هنا بجانبى، فأعود منهُ خائبة.

أعطيتنى كل هذا، ثم رحلت، وكأن برحيلك هذا تُجبرنى على أن أكمل كل ما بدأناهُ سويًا وحدى، ولكن كيف؟ كيف لى بعقلك وبتفكيرك وبكلامك؟ كيف لى أن أخوض هذا الطريق دونك؟ أنا لا أعرف حقًا.

كيف لى أن أجدك؟

ظلّلتُ هكذا أيامًا عديدة، تمر ولا شىء، أحاول إرسال له الرسائل ولا يجيب، وهاتفهُ الذى أصبح مغلقًا أو غير متاح.

وتمر الأيام.

وتمر.

*****

اليوم الأول:

لا شىء، أجلس على كرسى، محدقة أمامى كالمنومة مغناطيسيًا، أصبحت أتحرك كالإنسان الآلى، أصبحت لا أشعر بشىء فى الحياة، لا شىء بداخلى.

اليوم الثانى:

يبدو أنى أُصبت بمرض هذه الأيام، أصبحت مريضة الصدفة التى جمعتنى به ذات صحو وليل وفجر ونهار.

اليوم الثالث:

لا أحد هنا، أنا فقط من هنا، أزفر الهواء ضجرًا، بجانبى كوب قهوتى الثانى، ثم أترك الحساب على الطاولة وأرحل.

اليوم الرابع:

أنا عالقة.

اليوم الخامس:

عادت محادثات بسيطة سطحية بينى وبين مالك، محاولًا منهُ إثبات أن حالهُ قد تغير تمامًا، وأصبح -إنسان جديد- يقرأ ويستمع إلى الموسيقى، يُقدر الفن ويحبهُ -أصبح شخصًا كما تمنيت أن يكون سابقًا.

تحدثت إلى ليلى فى الهاتف فى وقت متأخر من الليل لتطمئن على حالتى التى لم ترتح لها منذ أن رأتنى.

ثم قالت لى:

–"منة، حاولى تدى فرصة تانية لمالك، هو بقى أحسن دلوقتى، ماتبقيش قاسية كدا وقلبك حجر، ادى له فرصة بس".

لطالما كانت ليلى -ومعظم من حولى– تتحدث إلىّ وكأنهُ لم ينبت لى قلب، وكأنى أرض احتلها الجفاف، وأنا التى حقًا لم ينبت لى قلب إلا حينما رأيت ذلك الغريب الغامض الذى بِت أتحدث عنهُ كمن يلقى بيوت الشعر.

صمتّ لأنى لا أملك طاقة للجدال فى أمر كهذا.

تعقتد ليلى أنى ما زلت أكن مشاعر لمالك، وأنه سيستطيع تغير حالتى هذه،–يعتقد هو هذا أيضًا- ولكن مغفلين، كلاهما مغفل.

هذه العلاقة وهذه المحادثات ما هى إلا تضيعًا للوقت، مؤقتة، ستأخذ

وقتها وترحل.

اليوم السادس:

....

اليوم السابع:

جلسنا إلى طاولة مستطيلة الشكل فى معطم ماك، بعد محاولات عديدة من ليلى استطاعت إقناعى بالخروج معهم وترك ذلك الكبت الذى بغرفتى، لم أمانع فلقد يئست مقاومتها.

ذهبت معها لأجد مالك هناك أيضًا وسيمون وجون أصدقاء لنا يحبان بعضهما ويخططان لمستقبل عظيم، كنت أشك فى أن ليلى ستأتى بهم ولسوء الحظ لم يخيبنى ظنى.

جلست بجانب هذه النافذة الزجاجية الكبيرة والتى تطل على الشوارع الخارجية التى تعج بالسيارات والعابرين، تركتهم وشردت أنا كعادتى محدقة فى كل من فى الخارج، ثم تذكرت يوم الآيس كريم وزين وهذه الشوارع، ماذا لو رأيته يمر من هنا صدفة؟ على الأقل أراه.

ليلتفت لى مالك الذى كان يتحدث إلىّ وأنا غير منتبهة يقطع شرودى ويقول:

-"إيه ده هو كلامى بيضحك كدا؟"

لأستعيد وعيي وأقول:

="هاه!"

-"بقالى ساعة بكلمك، بصى الكتاب ده جبتهُ وقريتهُ، حلو جدًا، تعرفيه؟"

نظرت للكتاب بعدم اهتمام وتركيز وقلت:

-"لا".

="مالك؟"

قالها مالك محاولًا الدخول إلى عقلى ومعرفة من يسرقنى منه، من يجعل وجوده كعدمه.

قلت بعدم اهتمام:

-"مفيش مرهقة شوية، عادى".

أعلم أن مالك يحاول أن يتغير -أو أنه تغير بالفعل- يحاول جذبى مرة أخرى بعد معرفته بكل ما أحب، يحاول أن يجعلنى أعطيه فرصة أخرى لنعود، ولكن شىء ما بداخلى يرى أن كل هذه الحركات مزيفة، شىء ما غير قادر على تصديق كل هذا، ما فائدة كل ما تفعله الآن لقد فات الأوان كما يقولون، شىء ما بداخلى انطفأ.

ما أن هم بالكلام مرة أخرى حتى قاطعتهُ غاضبة:

-"مالك، أنا مقدرة مجهودك ده كله والله، بس أنا مرهقة بجد ومش عايزة اعرف حاجة، فملوش لازمة كل ده".

نظر لى بتعجب والتفتت إلىّ ليلى وجون وسيمون مذهولين بعد ما كانوا مندمجين فى الحديث بعيدًا عنا، تعجبوا جميعًا، فانقعدا حاجباى وقلت فى غضب:

-"أنا مصدعة جدًا، همشى".

حاول مالك فهم الأمر ولكن أمسكت ليلى بيدهُ حتى لا يلحق بى وقالت له:

="سبها، أقعد، سبها لوحدها".

ورحلت.

أمسكت هاتفى بغضب محاولة إرسال رسالة أخرى لزين، ولكن يدى الأخرى منعتنى بقوة، ثم وجدتها لا إراديًا تصفعنى على وجهى وأنا أقول لنفسى وقد انهالت دموعى التى تكبرت عليها طوال الفترة الأخيرة:

"أليس لديكِ كرامة؟ ما هذا الذى وضعتِ نفسك به؟ لماذا تفعلين كل هذا بنفسك فى حين أنه يعيش حياته بدونك وأنتِ هنا تنتظرينهُ كالبلهاء، نعم أنتِ بلهاء".

انغمرت فى البكاء لساعات دون توقف، بكيت على شعورى بالضعف

بدونه وعلى عدم إيجاد حل لهذا، وعلى اختفاءه، بكيت عجزى.

لحن خاص

وبستنى الليل يروح لشوف عيونك
وبترجى السما تبوح بسر فنونك
وبتمنى الحظ يموت وما يعود يعود
وبستغرب عطرك يفوح من غير وجودك
وبستنى الليل يروح لشوف عيونك
مين شاف حبيبى؟
وين راح حبيبى؟

اقتربت من النافذة أكثر، ليحتضن الهواء البارد جسدى بقوة، أحب ذلك الطقس الصاعق الذى يذكرنى ببرودة جسدك.

عُدت لأشعر بجو الشتاء مرة أخرى، يأتى الشتاء وأنت لست هنا، تمُر على بالى الموسيقى مع كوب قهوة صباحية، مع الموسيقى الدافئة -والحزينة أيضًا- التى تركتها لى قبل الرحيل، جعلتنى أحيا مرة أخرى، بلا شك أبالغ كنت على قيد الحياة أصلًا، لكن هل ما زال هذا الأثر الذى تركهُ

بداخلى موجودًا ولم يمُت؟ هل سنظل خاضعين للوقت والفراق طويلًا والذى به أوهمنا أنفسنا بأننا سنتخطى كل شىء وننسى؟ ولكن فشلنا -أو بالأصح فشلت أنا فما زلت لا أعرف عنه شيئًا سوى أخبار عابرة من مواقع التواصل الاجتماعى- والتى أكرهها كثيرًا.

مرت ساعات على حالة الغموض هذه، ثم قررت أن أرتدى ملابسى لأتنزه قليلًا، إنه الخميس، من المفترض أن يكون هنا، ولكن لا بأس.

انطلقت بخطوات خفيفة وموسيقى هذه الأغنية فى أذنى لم تفشل فى جعلى أكثر ألمًا وحزنًا، ولكنى اعتدت الألم والحزن، تعلمت منهُ أن التعايش مع الألم والحزن ممكن وها أنا أواجه ما تعلمتهُ.

شكل مرهق باهت، مع ابتسامة حزينة خافتة لكل شىء حولى.

انتهت خطواتى البطيئة إلى رصيف شارع بوسط البلد والذى كان يملأه الكتب، والذى أدركت حقًا وأيضًا أن أكثر ما يزين هذه الشوارع هى الكتب المتناثرة بشكل عشوائى على أرصفتها، والباعة البسطاء دون تجمل مصطنع أو مجهود زائد.

وقفت أمام الكتب أتأملها، ثم إذا بكتاب كنت أبحث عنهُ طويلًا أمامى، لأبتسم فور رؤيتهُ، فتكسر هذه البسمة ذبول خلايا وجهى،

ليقترب منيِّ رجل بسيط، هادئ، يرتدى ما يكفى من الملابس الثقيلة الشتوية لتدفئتهُ فى هذا السقيع، يبتسم أيضًا عند رؤيتهُ ابتساماتى ويقول فى هدوء:

-"أساعدك فى حاجة؟"

أومأت فى حماس ثم أشرت إلى الكتاب الذى أريدهُ وأخبرته:

="هاخد الكتاب ده".

أحضره لى على الفور وأخذ ينفخ فيه حتى يتطاير هذا الغبار الذى كان يغطيه، ثم ذهب به ليسجل فى هذا الدفتر على الطاولة الصغيرة.

The sun and her flower

ثم أعطاه لى فى ابتسامات دافئة، لم تفشل فى إعطاء قلبى دقة خفيفة، ربما كنت أحتاج لهذا.

ثم إذا بصوت هاتفى يرن.

إنها ليلى.

قالت لى فى قلق وخيبة أمل:

-"وسط البلد تانى يا منة".

ابتسمت وحاولت إقناعها بأنى هنا فقد أبحث عن كتاب، وأنى بخير لتطمئن قليلًا وتغلق الخط.

مررت بجانب مقهى فى ممر صغير تدعى البستان كنت أتردد عليها أنا وزين، دق قلبى بعنف وتثاقلت خطواتى فجأة، وما أن نظرت حتى اتسعت عيناى.

رأيتهُ أخيرًا!

زين!

كان يجلس على إحدى الطاولات هناك ولكن ليس وحده، كان معهُ فتاة لم أرى ملامحها بوضوح من بُعد، ظللت متسمرة مكانى للحظات، ثم ما أن هممت بالرحيل حتى أوقفنى ذلك الصوت:

-"منة!"

قالتها هذه الفتاة الجالسة معهُ، لأنظر خلفى وأقترب قليلًا لأجدها مريم!

ثم وقفت مريم ومعها زين واحتضنتى بشدة، احتضنتها أيضًا فكنت أفتقدها كثيرًا، ولكنى تعجبت أنها تعرف زين! ربما هم أصدقاء وأنا لم أكن أعرف.

نظرت إلى زين بعد مصافحتهُ وحاولت أن أستجمع كل الطاقة الكونية لأتحكم فى كل ما بداخلى، الغضب والفقدان والحزن والعتاب، قررت أن أن أكتم كل هذا بداخلى وأصمت.

الصمت.

الصمت.

الصمت الذى يقتلك من الداخل، يفتتك ولا يرحمك.

قررت أن أتصرف عادى جدًا، ويا لصعوبة الأمر، لهذا ظللت شاردة صامتة طوال الوقت، تركتهم يتحدثون ولم أنتبه لكلامهم نظرًا إلى أنى غارقة فى حرب أخرى بداخلى، كم هو غريب، فأنا لم أتوقع هذا!

جلسنا قليلًا وتحدثت مريم معى عن أحوالى، مريم من الشخصيات الجميلة التى قابلتها، تعرفت عليها فى الثانوية، ولكننا لم نكن نتحدث أو نلتقى إلا نادرًا نظرًا لانشغال كل منا بأموره وحياتهُ، رغم تشابه بعض أفكارنا وتشاركنا فى أشياء كثيرة نحبها، ولكننا لم نكن قريبتين ولا أعلم لماذا، ربما لم تأت تلك الفرصة، وأعتقد أنها أتت، كانت كما هى لم تتغير ملامحها كثيرًا، طويلة القامة، صغيرة الوجه، شعرها المنسدل القصير دائمًا، ملامحها البشوشة وضحكاتها مع وجهها المتناسق.

كان زين عاديًا لم ألاحظ عليه أى تغيير يؤكد أنه يمر بحالة حزن أو شىء من هذا القبيل، ولكنه لم يكن يتحدث إلىّ كما اعتاد، تغيرأسلوبه قليلًا مما أثار بداخلى شىء لأسأله:«ما بك؟ ولماذا اختفيت و...

و...و..."، ولكنى صمتّ، ليس الآن، ليس هذا هو الوقت المناسب.
وقفنا لنرحل وقد سبقتنا قطرات من المطر التى بدأت فى الهبوط عندما بدأنا فى السير، وضعت مريم يدها على شعرها محاولة إنقاذه من قطرات المطر التى ستدمره بينما أنا كنت مستمتعة كثيرًا، نظرت إلى السماء وأنا أضحك، ثم نظرت إلى زين فى حنان، حاولت مداعبته واستفزازه كما اعتدنا أن نفعل، ولكن صدمتنى ردة فعلهُ الغاضبة، ليصرخ فى وجهى ويقول لى:

-"منة اسكتى".

صمتّ فى ذهول، انتفضت فى خوف وقلق وارتجف جسدى، ثم شُل لسانى وبدون أن أنبس بحرف آخر سرت فى هدوء وصدمة.

وصلنا إلى محطة المترو لنرحل، صافحنا زين وذهب ليرى بعض أصدقاءه بعد أن جاءته مكالمة منهم يخبرونه بأنهم ينتظرونه.

أصبحنا أنا ومريم وحدنا، ولكن ظل الصمت يتملكنى، جلسنا ننتظر المترو ثم التفتت إلىّ مريم وقالت فى تعجب:

-"ما لِك أنتِ كويسة؟"

شعرت بأنى أريد البكاء لا الكلام، ولكن تحجرت دموعى وتجمد قلبى، شعرت من نظراتها بأنها تعلم شيئًا ما، فلطالما فهمت الناس من

نظراتهم وأعينهم، لطالما آمنت بأن الله خلق لنا فى هذه العيون شفرة وسحر ولن يستطيع أى شخص فك هذه الشفرة وفهم ما تحمله العيون دون كلام، ولكنى كنت أتفنن فى فك شفرات العيون وحل هذه الألغاز الصعبة، وفهم من أمامى بسهولة.

تنهدت وأخذت نفسًا عميقًا وقلت لها:

-"زين".

لتقول لى فى ثقة:

="حسيت، كان باين عليكى من نظراتك".

لأسرع وأقول فى دهشة:

-"ما لها! ما لها نظراتى وتصرفاتى وكلامى! أنا فعلا هاتجنن، بحس إنى بتصرف عادى فى حين إن اللى حواليا لاحظوا العكس، ولما حد بيوصف لى أنا بعمل إيه بستغرب، بحسهم بيتكلموا عن شخص تانى، أو إنى مثلًا بعمل كدا وأنا مش فى وعى".

لتقول:

="أو يمكن قلبك هو اللى سايق مش عقلك، صح؟"

لأنظر لها فى تعجب وأقول:

-"قصدك إيه؟"

="أنتِ بتحبى زين، باين من نظراتك ليه طول الوقت وكلامك".

لتتسع عيناى وأقول:

-"لاء، لاء، لاء أنا مش بحبهُ".

لأرتجف وتتلألأ دمعة فى عينى وأكمل:

-"أنا بخاف من الحب، الحب اللى بيخلى الناس تخسر بعض".

ثم خفت صوتى وأكملت:

-"وأنا مش عايزة أخسر زين مش عايزة أخسرهُ، أنا متضايقة أوى، أنتِ فاهمانى صح؟"

="أيوا".

-"بصى أنا حاسة فعلا بحاجة نحيتهُ، حاجة حلوة ما اعرفش اسمها إيه، علاقتنا معقدة جدًا، بس أنا مش هاقدر اسمى ده حب، مستحيل".

="طيب تعالى نسمى ده إعجاب".

شردت للحظات ثم بنبرة حزينة قلت:

-"مش مهم دلوقتى اسمهُ إيه، المهم دلوقتى إنى لازم أتخلص من كل ده، علشان واضح جدًا إنه بعد عنى بسبب كدا بردو".

="زين بيخاف بردو زيك من الحب، هو أكيد بردو خاف يخسرك فحب يبعد".

نظرت لها فى اهتمام محاولة إيجاد حل لهذا ثم قلت:

-"أنا كمان هابعد، بس لازم أتكلم معاه الأول، لازم يفهم إنى مش بحبه، أنا مش بحبهُ".

="أتكلمى معاه، هو أكيد هيفهم".

نظرت لى مريم وإلى حالتى هذه التى تحولت إلى شبحية، ثم احتنضتنى لتطمئننى بأن كل شىء سيكون بخير.

من الصعب إيجاد من يفهمك بطريقة مباشرة، ولكنى أيقنت أن الله مدبر الأمور يضع كل شىء ليأتى فى توقيتهُ المناسب، اليوم لم أدرك أن كل هذا سيحدث، لم أخطط لهذا ولكنه بطريقة ما مدبرة ومحكمة حدث، لهذا تعلمت أن أهدأ وألا أسبق الوقت مهما حدث.

العودة

يوم جديد، وعهد آخر أقطعهُ على نفسى بعدم التفكير كثيرًا ومحاولة العودة إلى الكتابة مرة أخرى، ثم نظرت إلى هذا المكتب الفوضوى بجانب السرير الذى استلقيت عليه لتوى.

كم أخذ التفكير من وقتك ليقتلك هكذا؟

تفكير تافه، قاتل لا معنى له سوى داخلك!

اهرب من كل هذا العبث الذى بداخلك.

أفرغ كل ما تبعثر بداخلك على هذه الورقة، هى بلا شك لن تمانع، ستنصت إليك وكأنها تعرفك منذ زمن، سترافقك فى عتمتك وخيبتك وحتى فرحك، ما أصعب الفكرة فى البداية!

ما أصعب العودة.

جلست على الكرسى بتركيز مشتت، مفكرة قديمة جدًا تحمل الكثير من ذكريات طفلة عبثية، فتحتهُا وانغمست فى القراءة، ثم لا أعلم كم مر من الوقت وأنا منغمسة فى هذه الحكايات.

ثم لا إراديًا أكتب.
أكتب كل ما يدور فى عقلى.
أكتب دون وعى لما أكتبهُ.
أكتب وكأنى شخص آخر يحمل الكثير بداخلهُ.
ثم أنتهى من الكتابة هنا.
وأفيق من كل شىء.
نظرت إلى الورق الذى أمامى بتعجب شديد! هل عدت أكتب مرة أخرى؟!
انقطعت عن الكتابة منذ عامين، عامين لا أكتب، لا أقترب من الركن الخاص بالمفكرات والأقلام الذى على مكتبى، وكأنه ركن مقدس ممنوع لمسه.
شعرت بالحرية، بتحرر ما بداخلى، شعرت بالراحة قليلًا لما أفرغتهُ، شعرت بالسعادة، بأنى قد تغلبت على كل القيود التى حاصرت يدى وأفكارى طوال عامين مضيا فى لا شىء.
شعرت بالعودة.
زين!
تذكرتهُ فور قراءتى لهذه الكتابات التى خرجت من داخلى -ولا أعلم

كيف- منذ لحظات، تذكرت كلامهُ لى للعودة من جديد، شعرت بسعادة مفرطة فأرسلت إليه هذه الكتابات ليقرأها، شعرت بأنها لهُ، هو يستحقها، هو يستحق كل شيء، رغم البعد الذى لا أعلم له سبب واضح حتى الآن، ولكن لن أستطيع إنكار أن له دور كبير فى كل هذا.

أرسل لى رأيهُ وتعليقاتهُ، والتى أبهرتنى، تحدثنا طوال الليل وتجادلنا، لم نتحدث هكذا منذ فترة كبيرة، شعرت بأن ما زال بداخلى الكثير لأقوله.

غدًا عيد ميلادهُ!

-"زين، ممكن أشوفك، يعنى لو مفيهاش إساءة أدب؟"

ضحك بسخريتهُ المعتادة وقال:

="أنتِ بتستأذنى يا منة؟!"

-"لاء خالص، أنا بقول لك غصب عنك، اللى هو هننزل يعنى هننزل بقى المرة دى".

="ماشى، موافق".

اتفقنا اليوم أن نلتقى بعد أن وافق زين دون إبراز أى مبررات أو حجج كالعادة، ظللت أفكر كثيرًا فيما سيحدث اليوم، فلم أره منذ فترة غياب طويلة، لكن ليس غياب جسده عنى، ولكن ما أقصده هو غياب

الروح، ففى المرات السابقة التى كنت أراه فيها كانت روحه شاحبة، خامدة، غياب الروح بيننا أيضًا وهذه الشعلة التى كانت مضيئة فى البداية، لطالما كنت أتساءل ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ سأجن بلا شك.

قفزت أرتدى ملابسى بعد استقبالى رسالة منهُ يقول فيها:

-"هاخدك معايا مكان النهاردة، غريب شوية عليكى ممكن".

="مكان إيه؟ وهنعمل إيه؟"

-"تجمُع".

="؟!"

-"البسى بس واستنينى فى المترو".

لطالما تشابهت حياتنا بأفلام السينما، عبارة عن شريط من الأحداث الجارية، البعض منها روتينى قاتل والبعض الآخر اكتشافات ومغامرات حول أنفسنا وحول هذا العالم وخباياه، التى تُركت لمحبى المخاطرة أو الجنون بعد منتصف الليل، وكان الجزء الآخر من الشريط هو المفضل بالنسبة لشخص مثلى.

لم يكتف وجودهُ فى حياتى فى تشجيعى على إخراج كل ما كُبت وكُتم منذ سنين بعد أن استسلمت للحياة الروتينية، بل كان يقفز بين الحين

والآخر بمغامرة جديدة أو أغنية من ذوقه–الذى أصبح مؤخرًا المفضل بالنسبة لى.

وعبث آخر لا ينتهى إلا فى وقت متأخر من الليل، كان يقفز فجأة دون سابق إذن، ينتشلنى بكل هذا من صخب الحياة وجمود وبرودة الأيام. لهذا كنت فى كل مرة أقابلهُ أعلم أننى سأودع كل ما يؤرقنى لساعات من اليوم، ولكنى سأكتسب نشوة وسعادة تجعلنى أتنفس بشوق ولهفة انتظار مقابلة جديدة، نضرب كفًا بكف وكتفًا بكتف ونمضى فى ظلال العشوائية.

جلست أنتظره فى المترو وقد تملكتنى حالة من التوتر لا أعلم لماذا، حاولت تنفس الصعداء وترتيب أفكارى المتناثرة.

أخذت أتمتم:

"يجب أن أخبره.

ولكن ماذا سأخبره؟

يجب التحدث إليه ومعرفة كل شىء، سأسأله عن سبب اختفائه، وكل شىء، كل ما بداخلى وما يؤرقنى، حسنًا سأرتب هذه الكلمات و..."

زين**!!**

ما أن نظرت أمامى حتى وجدتهُ يقف أمامى مباشرةً، وتاهت كلماتى

مجددًا.
قلت فى ضجر بصوت يكاد يكون مسموع:
-"هو أنا ليه بيحصل معايا كدا!"
لينظر لى لحظة فى تعجب فأنظر له وأبتسم، فيقول:
="يلا بينا؟"
أومأت برأسى فى حماس وصمت كطفلة مستسلمة.
ذهبنا إلى وجهتنا المعتادة، وسط البلد.
فى الطريق أخبرنى زين بأننا سنقابل صديق له وسيشاركنا اليوم، لأنه صاحب فكرة التجمع هذه وهو من سيرشدنا إلى هناك.
خرجنا إلى أرض الملتقى نلتفت يسارًا ويمينًا وإذا بشاب طويل القامة وعريض يبتسم ويلوح لزين، أعتقد أنه هو، اسمهُ أمير كما عرفنى عليه زين وعرفهُ علىّ أيضًا، ظللت أتفحصهُ فى اهتمام بنظراتى الثاقبة لأتعرف على شخصيته من خلال هذه النظرات، لا أعلم فكنت بارعة فى هذه اللعبة التى أمارسها مع الأشخاص الجدد فى حياتى، شخصية اجتماعية تعرف الكتير من الناس ولكنها ترافق القليل، هكذا أنا.
أتذكر كلمات زين التى تتلألأ فى عقلى دائمًا:"اتعرفى على كل الناس وادى كل واحد قيمتهُ".

«أنا أفعل هذا يا فندم، لا تقلق».

سرنا خلف أمير فى ممر ضيق، ثلاثتنا وكأن أمير هو القائد ونحن الجنود، حتى وصلنا أمام مبنى شبه قديم ولكنه فخم جدًا، مبنى ذو مدخل واسع ومصعد كهربائى، يا إلهى ليس مجددًا.

لحسن الحظ أن هذا المكان فى الطابق الأول لهذا لم يكُن هناك أى داع لاستخدام المصعد اللعين.

صعدنا بخطوات خفيفة، المكان هادئ وما زال يثير فضولى معرفة ما نهاية هذا الطريق الغامض، وما هو التجمع وأين نحن ومن أنا ومن هؤلاء!

أهدأى يا منة ستفقدى صوابك.

حاضر.

دخلنا شقة هادئة وفارغة من البشر، أضواء هادئة أيضًا وهناك بعض الأثاث العتيق والديكور الهادئ والألون المريحة للعين، ولكن التوتر وبعض الخوف جعلنى أفشل فى تفحص المكان جيدًا، أعتقد أنه جاليرى أو وورك سبيس، عادى.

ثم ما لبثنا للحظات حتى خرج لنا شاب آخر غريب من باب غرفة لا أعلم من أين ظهرت، شاب يرتدى اللون الأسود ولا أتذكر ملامحهُ

جيدًا.

رحب بنا وصافح أمير وزين وظللت أنا مختبئة كالطفلة خلف زين، تشبثت بيدهُ فجأة ولكنهُ ظل ثابتًا.

همست لهُ:

-"أحنا هنعمل إيه؟"

="تعالى".

قلت فى عبث:

-"هو أنت فى كل مرة ننزل تاخدنى أماكن غريبة، أنا حاسة إنك هتخطفنى فى مرة، يا ربي! وبعدين أحنا كنا نازلين نتكلم شوية إيه اللى جابنا هنا".

ضحك زين فى خفوت وقال:

="أنتِ خايفة؟"

-"لاء".

كان هناك تكملة لهذه الإجابة ولكنها ظلت بداخلى، كنت أود أن أخبره بأنى لا أخاف وأنا معهُ، أشعر بالاطمئنان لوجودهُ، حين أخوض أشياء جديدة بالنسبة لى، ليست معتادة، يتلاشى هذا الخوف النسبى لمجرد وجودهُ، وكلى يقين بأنى إذا فعلت هذا وحدى لا رتعبت وضاعت

على متعة الاكتشاف، شيء ما بداخلهُ يطمئنني رغم جفاءهُ لي، وشيء ما بداخلي لا أعرف له اسم، ولكني اكتفيت بقول:"لاء".

دخلنا غرفة أعتقد أنها سرية، لنجد أناس كثيرين يجلسون أرضًا في شكل دائري ويتوسطهم عازف جيتار أردني، ثم وبعد مصافحتهم جميعًا انضممنا إليهم في صمت وهدوء، كانت الضجة تعم بينهم نظرًا إلى أن كل منهم يعرف الآخر على عكسنا تمامًا -أنا وزين- جلسنا نتأملهم، كان أمير يذهب هنا وهناك ونحن قابعان محدقان، ثم ما أن بدأ عازف الجيتار في التشاور معهم في اختيار أغنية ليغنيها لهم، حتى أراح زين ظهره إلى الحائط وجلس ينصت في اهتمام وتركيز لحركات العازف وغناءه، فهو يقدر الموسيقى والعزف ويحترمهما كثيرًا.

حاولت تقليدهُ والتركيز مع هذا العازف ولكن تركيزي كان مشتت قليلًا،

وكأني طفلة أولد من جديد بين يدٍ لا ترغب في احتضاني.

تأملت زين لمرة أخرى لأجده شاردًا غائبًا عمن حولهُ رغم وجود ضجة، وكأنهُ ذهب إلى عالم آخر مع هذا العزف، ابتسمت لهُ.

لم يقل بيننا الاهتمام في الفترة الأخيرة فقط ولكن تغيرت طريقتهُ أيضًا، رغم كل هذا لم أكرههُ، لماذا؟ لماذا كل هذا؟ ولما أنا مستسلمة

هكذا؟ هل أنا السبب؟ أم أن هناك شىء يحدث أنا لا أعرفهُ جعلهُ يبدو أكثر غموضًا!

ارتفع صوت العازف وهو يغنى ويقول:

"كان بدى غير العالم مش عارف كيف العالم غيرنى".

قفز أمير فى مرح ووقف فى المنتصف وأشار إلى زين وقال بصوتٍ عالٍ:

-"يا شباب النهاردة عيد ميلاد أخويا وصاحبى زين، وأنا هنا بحتفل بيه".

ليصفق الجميع وتتعالى الضحكات ويضحك زين أيضًا ويبدأ فى استقبال التهنئة، ثم نظرت لى فتاة فى السابعة عشر من عمرها وسألتنى فجأة لتكسر حاجز الصمت الذى تملكنى:

-"وأنتى عيد ميلادك أمتى؟"

ابتسمت فى خجل وقلت:

="١٥/٤".

لتضحك الفتاة وتصفق لى أيضًا ويتعالى تصفيق الجميع، لينظر لى شاب ويسألنى فجأة:

-"أنتِ اسمك إيه بقى؟"

="منة، اسمى منة".

-"هتيجى تانى أكيد؟"

="أه ممكن".

ليس من السهل الانضمام لفئة هؤلاء الشباب والبنات، رغم البساطة فى الكلام التى ستلقاها على وجوههم فور رؤيتهم والسلاسة فى المعاملة معهم ولكنهم خطيرين للغاية، فئة من المراهقين والمتهورين أيضًا، يجب أن تكون قويًا كفاية حتى لا تتأثر بهم بسهولة، يجب ألا تخوض معركة دون سلاح، سلاح النفس، وإلا ستفقدها وتصبح شخصًا آخر، وهذا لن يكون بإرادتك.

وبكرا بنعود

انتهى العازف هنا ومعهُ انتهت مهمتنا أيضًا، فلقد أخذنا ما أخذنا وسنرحل، أوقفتنى تلك الفتاة تصافحنى وتقول لى:

-"هاشوفك تانى أكيد".

أومأت وابتسمت لها.

نزلنا ثلاثتنا من هذا المكان إلى شوارع وسط البلد المزدحمة، نمشى ونضحك ونغنى بصوتٍ عالٍ، لينظر لنا العاقلون فى تعجب ولوم ونحن لا نبالى، نضحك.

خرجت من هذا المكان وأنا أدرك قيمة الموسيقى أكثر وأكثر، قيمتها

فى القضاء على الاختلافات بين الآخرين، الموسيقى وحدة، أبحث عن نفسك فى أغنية ما ستجدها بلا شك، ابحث عنك وعن الآخرين.

بدا الأمر غريبًا بالنسبة لى فى البداية ولكن تلاشى إحساس الخوف تمامًا.

قفز أمير فجأة باقتراح مكان لنذهب إليه ونكمل السهرة:

-"يلا قهوة الوزارة؟"

="يلا، يلا".

لم ترق لى فى البداية فكرة انضمام شخص ثالث لنا فى هذا اليوم، لم أتوقع حدوث كل هذا، كل ما كنت أفكر فيه أننا سنلتقى أنا وزين نتحدث فقط، أتحدث معهُ عن سبب الابتعاد وكل هذا ولكن فى كل مرة كنت أرتب لفرصة لنلتقى ونتحدث يأتى القدر بترتيباتهُ غير المتوقعة، والتى تفسد كل ما خططت له، وكأن هناك شيئًا لا يريدنى إخراج كل ما بداخلى الآن، وكأن القدر يتلاعب بعقلى ليخبرنى بطريقة ما أنه ليس الوقت المناسب.

لكن على الأقل لم يسر اليوم بشكل سىء حتى الآن، بدا لى أمير فى البداية شخص ثقيل ولكنه على عكس ما توقعت خفيف الظل، يتمتع بحس فكاهى، ولحسن الحظ أن لديه أيضًا اهتمامات بالموسيقى والفن،

ويحلم بأن يكون مصور بارع، لهذا كان لدينا دائمًا ما نتحدث عنهُ.
تحدث كل مِنا عن هواياتهُ وتحدثت أنا عن الكتابة بشكل مجرد، ليقول لى زين:

-"كملى فى الكتابة، كتاباتك حلوة جدًا".

لم أكتب منذ زمن طويل ولا يمكننى اعتبار أو تسمية هذه الأفكار كتابة، إنها قليلة جدًا بجانب ما تحمله كلمة كتابة من معنى، فلطالما كنت شخص كتوم لا يجيد البوح للآخرين -نظرًا لسوء فهمهم الدائم لى- فاتخذت من الورقة والقلم أصدقاء، ولم أهتم بأن هذه الكلمات الصغيرة ستكبر مع الوقت لتعجب الآخرين، لم أتوقع أنى سأحظى بشجاعة كافية للبوح بكتاباتى هذه أصلًا، ولكن حدث ما حدث.

أبدى أمير اهتمامه بالأمر نظرًا لحبه الشديد للقراءة، فأرسلت إليه بعض الكتابات، وبينما كان زين يتحدث فى الهاتف فى مكالمة طويلة وأمير منغمس فى القراءة، استسلمت أنا لأفكارى مجددًا وتذكرت هذا اليوم بالتحديد.

كنز في كراكيب

عندما كنت أحاول ترتيب غرفتى مما تطلق عليه أمى عادة كراكيب. ولكنها ليست كراكيب يا أمى! أكز على أسنانى وأنا غاضبة عند سماع هذه الكلمه منها، ثم أدخل فى شرح مبسط لها بأن هذه ذكريات، وهى تُعد كنز بالنسبة لى، كل مفكراتى القديمة تحمل بداخلها ذكريات طفلة عبثية كانت بداخلى، وأعتقد أنها لم ترحل أبدًا، لأنى ما زلت طفله تبكى وتغضب حين يمس أحد ما تسمينه(بكراكيبها) يا أمى.

لا أعرف مدى حبى لهذه الأشياء! الورق والكتب والأقلام القديمة! لا أستطيع ولن أستطيع التخلى عنها، إنها تُعد الجزء الآخر منى، الجزء الذى لطالما أفقده ويفقدنى بمرور الوقت، الجزء الذى نضعه تحت مسمى الذكريات، مسمى سخيف!

أنا أنتمى إلى هذه الأوراق المكتوبة بخط طفولى متشابك، عندما أشتاق إلىّ أقرأنى بين هذه السطور التى كتبتها من قبل، أبحث عنى لأجدنى أختبئ بين صفحات قديمة، ثم أضحك بهستيريا على ما كتبته زمان

وما أكتبه الآن وكيف كنت أحلم، كيف كنت أفكر، كيف تحولت من طفلة عبثية إلى فتاة ناضجة! فى الواقع أشك فى ذلك فما زلت أعبث!
اخترت هذا الكتاب بالتحديد من بين كتب كثيرة على مكتبى الصغير لأنه يحمل معى ذكرى خاصه لن أنساها أبدًا،(قصة الكتابة).
ظللت أتأمله وأنا أبتسم فى حنين لهذه الذكرى وهذا الشعور الذى انتابنى وقتها.
كنت طفلة فى العاشرة من عمرها، المرحلة الابتدائية لظهور المواهب واكتشافها، كانت مدرستنا تستعد لقيام حفلة كبيرة وبالتأكيد سارعت فى الاشتراك بها، لا أذكر تفاصيل الحفلة، ولكن شروطها أن تبدع وتقدم ما عندك من موهبة لتصل، تغنى، تعزف، إلخ.
على فرقة الصحافة التوجه إلى قسم الإذاعة المدرسية، وفرقة الموسيقى والشعر التوجه إلى المسرح، وفرقة الرياضة التوجه إلى فناء المدرسة.
سمعت هذه النداءات وكنت حائرة فى تحديد موقعى، لم أكن أعرف ما الذى سوف أعُده لأقدمه! ولم أكن أريد أن أكون طفلة عادية مثل الآخرين، لم أرض بذلك أبدًا، أحببت الاختلاف فى كل شىء.
كان مدرس اللغة العربية هو من سيقدم الشعر والمسرحية، وتقوم طالبات المسرح بالغناء والتمثيل.

فى ذلك الوقت كنت فى بداية طريقى لكتابة شعر وقصص قصيرة، ولكنى كنت أحتفظ بها لنفسى وفى نفسى خجلًا، لم أكن قادرة على تحمل ردة فعل محبطة من الآخرين إذا لم تعجبهم كتاباتى البسيطة.

اتخذت هذا الطريق لأنى كنت طفلة كتومة كما يقولون، ولم أجد من يستمع لى غير الورق فى مفكرة، فقررت الاستسلام للورق.

كانت(ن) صديقتى فى الصف، والتى لا أتذكر كيف ومتى سمعتنى وأنا أغنى فأعجبت بصوتى! لا أعلم ولكنى توقفت عن ذلك منذ اللحظه التى غادرت فيها الابتدائية لحدوث مشاكل فى اللوزتين، كنت أخاف من الأطباء فلم أعالجها، كانت(ن) تجعلنى أجلس بجانبها دومًا، أقرأ وأغنى لها وهى حزينة، ثم اقترحت علىّ فكرة أن أشارك فى المسرح وأعرض كتاباتى، ولكنى رفضت، كنت خجولة جدًا، ولكنها لم تصمت، ذهبت بدون علمى وأخبرت مدرس اللغة العربية بموهبتى والذى فاجأنى عند دخوله الصف وبعد التحية باستدعائى أمام الصف كله ومطالبتى بعرض ما كتبت من شعر وقصص، كنت عاجزة عن وصف حالتى بكلمات مرتبة وقتها، لحظات توتر، العجز عن التنفس، يدق قلبى بمعدل يفوق الطبيعى بكثير، حاولت أن أستكين، وبالفعل استكنت، حاولت أيضًا أن أكتسب بعض الثقة بالنفس عندما قال لى:"متخافيش أنا مش

بعُض،أنا هساعدك»، أنا حقًا ممتنة لك أراحتنى هذه الجملة قليلًا، بدأت بشعر عن الوطن وانتهيت بما لا أتذكره الآن، ولكنى فوجئت بتصفيق حار من الطلاب وابتسامة فخر من المدرس، كنت سعيدة لفعل ما كنت دائمًا أثق بالعجز عنه، طلب أن يسجل لى فيديو، لم أعترض، وبالفعل تم تسجيل الفيديو.

فى اليوم التالى استدعاء مفاجئ لى من مكتب الأخصائية الاجتماعية المشرفة على الحفلة التى سنقوم بتقديمها، ذهبت وأنا فى حالتى المعتادة، التوتر الذى لا يتوقف ودقات القلب التى لا تهدأ.

أبدت المعلمة رأيها فى كتاباتى بابتسامة كبيرة، وأخبرتنى أنها رأت الفيديو وأنها فخورة بى كثيرًا، ثم أعطتنى هذا الكتاب(قصة الكتابة)، تحفيزيًا وتشجيعًا، وقالت لى:«اقرأيه، وأنا واثقة بأنك لن تهمليه».

ابتسمت كثيرًا وشكرتها.

مر أسبوع على هذا اليوم وانتهيت من قراءة الكتاب، وعدت أسأل عنها لأعيده إياه مرة أخرى، ثم قالت لى:«قرأتيه؟ احتفظى بيه».

والآن ما زالت أمى تتعجب لما أحتفظ بكل هذا حتى الآن!

نحن نرحل وما يتبقى منا هو الذكريات، ومنذ صغرى قمت بدفن كل ذكرى لى فى ورقة وقلم، حتى لا يأتى لها يوم وتصبح ذكرى هاوية.

*****

انتهى أمير من قراءة مدوناتى الصغيرة، وأبدى إعجابهُ الحار بهم، فلم أتوقع فى يوم من الأيام أن هذه الأفكار الصغيرة ستثير إعجاب الآخرين.

ثم اقترح عليّ فجأة:

–"ما تكتبى رواية".

قلت ساخرة:

="رواية!"

–"أه، ليه مافكرتيش فى كدا، أنتِ بتكتبى حلو أوى!"

صديق إسكندرية /بيروت ووسط البلد

مرت أيام كعادتها، رمادية اللون، شتوية وكئيبة بعض الشىء، الغريب هو أن لا شىء يجلس هنا فى عقلى، إنه فارغ تمامًا وهذا أمر غريب بالنسبة لى، فلم أعتد على هذا!

اعتدت على منازعة أفكارى، محاربتها حتى تتركنى لأرتاح قليلًا، أشعر بالوحدة بدونها حقًا.

هل توقفت الحرب بداخلى؟ أم أنى قد أعلنت استسلامى؟!

ألم تكن هذه الأفكار تزعجنى؟

لم أتحملها يومًا، فلماذا أشعر الآن بأنى أفتقدها وبشدة! أفتقد صداع لا ينتهى،

أكره هذا السلام الذى يرسم المثالية لكل شىء حولى.

أيمكن حقًا أن يشتاق المرء إلى شىء أو شخص كان يؤرقهُ بمجرد اختفائه؟!

استلقيت على سريرى أحاول ترتيب الأفكار من جديد، ثم أخرستنى

فيروز بـأغنية:"صباح ومسا شى ما بيتنسى، تركت الحب أخدت الأسى".

أفقت من كل هذا على صوت رسالة على واتس آب من أمير:

-"أنزلى دلوقتى حالًا قابلينى فى وسط البلد، هستناكى فى مكاننا".

تطورت العلاقة بينى وبين أمير مؤخرًا وبسرعة لم ألاحظها، أصبح صديقًا مُقربًا، كان يتابع كل مدوناتى الصغيرة التى بدأت فى نشرها بين الحين والآخر، ولم يترك واحدة دون إضافة تعليق يضىء به هذه الشعلة المنطفأة بداخلى كلما توقفت عن الكتابة، كان يترقب كل جديد فى شوق ولهفة يزيدنى حماسًا.

توجهت إلى وسط البلد وقابلتهُ بابتسامة ووجه بشوش، يشعرنى وجود أشخاص لديهم طابع مثلى بالألفة والأمان أحيانًا، والذى جعلنى أطلق عليهم أناس مميزين لقلة عددهم فى حياتى، فلطالما أنهكت واستنفزت طاقتى فى شرح تفاصيلى المعقدة لمن اختلف عنى تمامًا ولم يستطع فهمها إلى أن ينتهى بنا الحديث بالصمت لعدم الوصول لجدوى ترضى الطرفين.

صافحتهُ وقبل أن نسير بخطوات أخرج من حقيبته كتاب(إسكندرية بيروت) وقال لى:

–"مش ده الكتاب اللى كنتى بتدورى عليه ومش لاقياه؟"

لمعت عيناى فى ذهول ودهشة، خرجت منى ضحكات بلهاء مهلهلة بالسعادة التى بداخلى، لا أصدق!

كان هذا الكتاب بمثابة تشجيع لى على مواصلة الكتابة، فكان أمير من بين أصدقاء كثيرة يؤمن بقوة بأنى أستطيع إنشاء كتاب بهذه المدونات الصغيرة، ولم يكتف بدب الثقة فى نفسى ببعض الكلمات التحفيزية، بل كان يشاركنى فعليًا كل ما أحب ومن بينهم هذا الكتاب الذى تمنيتهُ وبحثت عنهُ طويلًا.

اتجهنا بعد ذلك إلى إحدى المقاهى الرديئة والبسيطة فى أركان وسط البلد لننهى يومنا بكوب قهوة سويًا، ثم ما لبثنا لحظات حتى وجدنا شاب ثمِل للغاية، نحيل ووجههُ شاحب، يقترب نحونا، ثم سقط على الكرسى الذى بجانبى، انتفضت فى مكانى فى فزع ونظرت له بتعجب لأجدهُ بدأ يتحدث بلهجتهُ الثملة غير المفهومة ويقول لأمير:"يسطا تعالى روحنى عشان مش شايف قدامى"، بدا على وجه أمير التردد قليلًا ثم ضحك فى ربكة وقال له:"مش هاينفع يا خالد". نظر لى الشاب بدون تركيز ثم أعاد نظرهُ إلى أمير وأصدر أصوات اعتراضيه متداخلة، وظل جالسًا فاقدًا وعيهُ وقد تملكنا صمت رهيب؛ حاول أمير أن يجعلهُ

يرحل ولكن كلما هم بالوقوف سقط على الفور، فظل جالسًا يتحدث بكلام غير مفهوم عن مشاكلهُ ويطلب السجائر، كنت مذهولة لِما يحكيه ومن حالتهُ هذه، لا أعرف السبب الذى منعنى من الرحيل، ظللت جالسة أتفحصهُ ولدى فضول قاتل لمعرفة لما فعل بروحهُ هكذا! مرت اللحظات وجاء شخص آخر ثمل مثلهُ، وآخران ولكنهما غير ثملين، وفتاه غريبة الشكل، وثلاثة بعدها، كل من يأتى يسحب كرسى ويشاركنا طاولتنا التى أصبحت دائرة محاطة بالشباب(الضايع)، وبدأ كل منهم بالتحدث بطريقتهُ الغريبة عن مشاكلهُ وفشلهُ والمخدرات التى تعاطاها اليوم وهكذا، ظللت قابعة فى مكانى أنظر لهم بتركيز شديد، صامتة، بينما زاد ارتباك أمير، ينظر لى لنرحل فيجدنى شاردة وسطهم، ثم وجدنا أحد هؤلاء الشباب يتقيأ لما تعاطاه من الكيماوى والمخدرات، فقد وعيهُ بطريقة بشعة، وقفت فى مكانى فى فزع لهذا المنظر، ثم نظر لى خالد والذى لم يتحرك من مكانهُ بينما أسرع الآخرين فى هرج ومرج ينقذون هذا الشاب، قال خالد وهو يضحك:"متخافيش دى مش أول مرة، كل شوية نقول له أنت مش قدها مابيسمعش الكلام".

لم أتفوه بكلمة، يكفينى ما أشاهدهُ أمامى، لم أصدق أن ما كنت أراه فى أفلام السينما أشهده الآن على أرض الواقع! أعيش التجربة وأراها

حية أمامى. كنت مذهولة! وفضولى كان أكبر من أن أتصرف كأى فتاة أخرى وأرحل.

لم أهتم ولا أعرف لماذا!

أصر أمير هذه المرة أن نرحل نظرًا إلى أن الأمر كان يزداد سوءًا، ورحلنا بالفعل.

همّ أمير ليعتذر عما حدث ولكنى رفضت هذا الاعتذار لأنه ليس مذنبًا فى شىء، ثم سألتهُ عن ماهية هؤلاء الشباب وهذه الأجواء.

حكى لى عن كل واحد منهم بالتفصيل، ثم ذكر إن هؤلاء(شباب وسط ناو) الضائع. تعجبت للكلمة نظرًا إلى أنى أول مرة أسمعها وطلبت منهُ شرحًا مفصلًا، مما ألهمتنى هذه الحكايات لكتابة مقال جديد، كالعادة بعد أيام من البحث والمعرفة والتجارب التى رأيتها بعينى قررت فتح مدونتى الصغيرة لأمحو ذلك الغبار الذى تراكم عليها منذ فترة لعدم كتابتى شىء جديد.

*****

"عزيزى القارئ، لقد أخبرتك من قبل بأنى سأبحث عن مواضيع شغف لأكتب فيها، ثم لم يأخذ الأمر جزءًا من الثانية حتى وجدت هذا الموضوع يقفز إلى ذهنى، ولكن التردد فى الكتابة عنهُ هو ما

استغرق كل هذا الوقت. فأرجوك وقبل أى شىء أنصت لى فى اهتمام وكل ما سأكتبهُ إن كان سيعارض فكرتك أم لا فلا تنفعل، الأمر كله رأى شخصى ووجهة نظر شخصية.

مؤخرًا انتشر تريند كدا على فيسبوك ومن ثم بدأ يتسرب إلى باقى السوشيال ميديا وعنوانهُ(شباب وسط ناو). فى البداية أحب أوضح أنى لا أنصف أى شىء وغير تابعة لأى فئة، ولكنى هنا أناقش رأيي من خلال تجاربي الشخصية وما أراه وأسمعهُ الآن عن كل من يدب بقدمهُ إلى منطقة وسط البلد البريئة من كل هذا.

المهم بقى وأنت منصت أوى كدا تعالى أقول لك، بعد الثورة انتشرت فئة من الشباب المتمرد واللى قرر يسلك طريق مختلف بيدور فيه على حريتهُ ومش معنى كلمة الحرية هنا هو الانحلال لا سمح الله، ولكن ما أقصدهُ هنا هو(كُل اللى يعجبك والبس اللى يعجبك) و(أنت حر ما لم تضر) وهكذا، كلام سليم، عادى ناس بتدور على إنها تعمل اللى يريحها، المهم هما قصدوا وسط البلد بطريقة مباشرة ثم أصبحت غير مباشرة، أصبحوا بيلاقوا بعض هناك، ومن ثم بدأوا يبانوا فعلا إنهم مختلفين، فى طريقة تفكيرهم اللى أصبحت واحدة، والموسيقى اللى قرروا يسمعوها، وحتى ده بان على طريقة اختيارهم للبسهم، وهذا الشباب أصبح يقيد

ثقافة فكرية واحدة، موسيقى واحدة، أصبحوا زى كوكب تانى انفصل عن الأولانى، ولما لقوا إن وسط البلد رحبت بيهم جدًا ولم يجدوا عائق لطريقهم قرروا عدم التوقف، جميل.

من فترة كدا انتشرت بردو فئة تانية خالص من الشباب الروش (السرسجى) والضايع فى منطقة وسط البلد، والحقيقة إنهم لا يفقهوا أى شىء، واحد عجبه فكرة إن فى ناس بتدعو إلى الاختلاف فقرر إنه يشاركهم، وبدأ إنه يعمل أى حاجة تحت مسمى إنه مختلف وبيدور على الحرية، يعنى لو تف تفة بقى اسمهُ بيعمل كدا عشان مختلف، ما علينا، وطبعًا واحدة واحدة بدأوا الشباب دول يتكاثروا ويعكوا الدنيا خالص، بدأوا ياخدوا حتة من ده على حتة من هنا وشوية من هناك ويكوّنوا لنفسهم مذهب تالت خالص، تحت مسمى الاختلاف بردو، والمفروض إن الاختلاف ده كان فكرة ودستور الفئة الأولانية، فعادى جات الفئة التانية كل ما عملتهُ إنها عدلت فى الدستور مش أكتر بس بطريقة بشعة شوية، فأصبح الشاب من دول عشان يبقاله شلة محترمة كدا ويبقى ليه سند فى المنطقة الجديدة اللى لسه نازلها، لازم يضحى ويتنازل، يتنازل عن مبدأ، عن أخلاق، عن أى حاجة عشان يبان وسطيهم الواد الجامد طحن اللى بيعمل وهو مش فاهم ومش هامهُ حاجة خالص.

ولكن الشهادة لله الفئة دى بردو فضلت محافظة على بعض النقاط الهامة فى الدستور ولم تحرفهُ، زى نفس الموسيقى اللى بدأوا يسمعوها وحبهم واتباعهم تقريبًا نفس الطريق فى بعض الحاجات اللى بيسموها فنون وثقافة وهما الحمد لله لا يفقهوا فيها أى شىء تحت مسمى بردو الاختلاف. إيه المسمى السخيف ده؟

فبالتالى كمان أُطلق على هؤلاء الشباب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (شباب وسط ناو) لكثرة ترددهم على هناك وفخرًا واعتزازًا بالمنطقة التابعين لها وكنوع من أنواع زيادة الروشنة.

النقطة هنا إن الفئتين ظاهريًا أمام أعين من هم خارج حدود وسط البلد تقريبًا مشتركين فى بعض الأشياء، لكن باطنيًا مختلفين تمامًا وده بيفكر يمين وده بيفكر شمال.

الموقف ده بيفكرنى بمسلسل بيحكى عن مدينة اسمها ريفيردايل، المدينة دى زى وسط البلد كدا، سكانها انقسموا فئة فى الشمال وفئة فى الجنوب والفئتين كانوا بيفكروا وبيتصرفوا بطرق مختلفة تمامًا واللى كان موحدهم بس إن كلهم تابعين لمدينة واحدة، واى حد مش فاهم خارج المدينة لو شاف حد من الشمال أو الجنوب مش هايفرق بينهم، راح بتوع الشمال أطلقوا على نفسهم اسم يميزهم وهو(جماعة الثعابين)،

زى الشباب السرسجى بتاع وسط البلد اللى أطلق على نفسهُ(شباب وسط ناو) كدا.

بس المشكلة هنا إننا للأسف مش فى ريفيردايل، لو بصيت هنا ع الناس الأبرياء اللى بتتاخد فى الرجلين واللى ملهمش أى ذنب فى ضياع الأمة دى كلها، هما كمان بقى بيُطلق عليهم وسط ناو لمجرد إنهم بيدبوا برجليهم على أرض وسط البلد العزيزة، وهما لا حول ليهم ولا قوة، وبدأ تدريجيًا أى حد هناك بقى يطلق عليه كدا، يعنى عمو اللى بيجيب حاجة من الكشك ده بقى اسمه وسط ناو وأمين الشرطة اللى هناك ده وسط ناو والقطة المشمشية اللى فى الشارع وسط ناو و...

زى ما بيقول لك كدا إن السيئة تعُم والحسنة تخُص، وانت بتطلق على كل الناس اللى معظمهم ملوش ذنب هذا اللقب الذى يعُد سىء- وهكتفى بوصفه سىء بس- طب أنا مالى أنا ماشى فى حالى لا بيا ولا عليا فى وسط البلد، لا بس أنت أصبحت وسط ناو مش قضيتنا بقى.

يبقى كدا احنا عندنا كام وسط ناو؟ اتنين؟ ولا تلاتة؟

الشباب اللى انتشر بعد الثورة؟ ولا سكان المنطقة أصلًا؟ ولا الشباب السرسجى؟ ولا كلهم؟!

المهم بردو إن التريند اللى نازل اليومين دول بيتريق على شباب وسط ناو.

... انهى شباب وسط ناو بقى؟ طب انت بتعرف تمييز ما بين الاتنين؟ انت عارف وفاهم نت تقصد مين؟ ولا انت كمان بتهبد تحت مسمى الروشنة والاختلاف؟

لو بصيت هنا بردو هتلاقى انك ظالم معاك حاجات كتير جدا، زى الموسيقى ومقاطع الاغانى والفن والاماكن اللى فعلا اتبنت عشان تكون ثقافية... كل دول وسط ناو؟ كل دول تريند؟ انت عارف تمييز؟ الموضوع بقى سخيف نسبيًا واكبر من انه يتاخد بالطريقة دى وابسط من انه يتعمل عليه تريند وينتشر.

مش اى حد بيعمل اى هبد يبقى مختلف.

ومش اى حد بيسمع موسيقة عمتًا يبقى فنان.

ومش اى حد فى وسط ناو يبقى وسط ناو.

وفى النهاية احب اوضح غرضى ونيتى السليمة من كتابة هذا المقال، قبل النهاية أنا وضحت انى لا بتهض حد ولا بدافع عن حد ولكن كل غرضى انك تفهم قبل ما تهاجم.

ملحوظة: قبل ان تغلق المقال احب اوضح حاجة وهى ان اللى عمل التريند ده وبيتريق هم نفسهم شباب كانوا وسط ناو يعنى كانوا بيعملوا حاجة وبيتريقوا عليها دلوقتى، يعنى ازاى...بتتريق على نفسك يا

عبيط؟ وسايب مساحة للى مش فاهم يهبد!"

*****

ضغطت على زر نشر ولم تمر الدقائق حتى وجدت الكثير من التعليقات الإيجابية على هذا المقال، مما حمسنى كثيرًا، لطالما خفت من مشاركة كتاباتى أو ما أحب مع الآخرين ولكن تلاشى هذا الخوف تدريجيًا بمرور الوقت، فى البداية كنت أكتب بلا هدف، أكتب لأنى لا أستطيع التعبير إلا بهذه الوسيلة وبعد ذلك تطورت هذه الغريزة التى بداخلى، أصبحت أتمنى لو أستطيع تغير آراء وتفكير الآخرين، أغير هذا العالم بكتاباتى.

تطورت علاقتى بكثير من الأشخاص مؤخرًا، أدركت الكثير من الأشياء أيضًا، أدركت أهمية النفس وكيفية التمسك بها والحفاظ عليها وسط تيار الموجات التى نواجهها كل يوم، وسط عالم يدفعنا للتغير عن قصد أو دون قصد، ألا تفقد نفسك حقًا وتخوض التجارب وتخرج منها وأنت بنفس الثبات، أن تتحكم بها.

تذكرت زين وسط كل هذه التيارات والذى قد عاد ليختفى من جديد، تذكرت كل ما كان يؤرقنى نحوهُ، شعور الألم الذى لا أجد له سببًا واضحًا ولا يفارقنى أيضًا.

كيف لك أن تتقبل فكرة أن تنام وتستيقظ، تتحدث وتصمت، تفرح وتحزن، تضحك وتبكى، تشارك تفاصيل يومك الصغيرة مع شخص ما ثم تعود إلى نفس النقطة لتجد نفسك أيضًا مجبر على تقبل فكرة أنه لم يعُد هنا، مُجبر على أن تُكمل كل ما بدأتماه سويًا بمفردك، ثم ماذا؟ ليس لديك اختيار، إما أن تتملك الشجاعة وتجد لك رفيقًا آخر يربت على كتفك حتى تنسى، أو أن تقف عاجزًا حائرًا فى المنتصف، تنتظر لقاء آخر يعيد لك روحك التى أنهكها ألم الفراق، ولكن أين لك برفيق آخر؟ وأين لك بشجاعة لتكمل وحدك أو لتنتظر أيضًا؟

أصبحت لا أعلم شيئًا واضحًا لهذا اللغز حقًا، ربما اعتدت على الأمر، اعتدت على فكرة اختفائه، ولكن كاذب من يتوهمها سهلة.

لأعود لهذه اللحظات مرة

بينما كنت منغمسة فى قراءة هذا الكتاب الذى لم أفلتهُ من بين يدى لحظة منذ البارحة، طرقت أمى الباب برفق ودخلت، نظرت لى بتعجب لأنى لم أبرح مكانى منذ البارحة أيضًا، ثم قالت فى هدوء:

-"أنا كلمت خالك وهو ظبط كل حاجة، تقدرى تسافرى وقت ما تحبى".

صمت.

رمقتنى أمى بنظرة تعجب أخرى، ثم أكملت:

-"هو مش ده الكتاب اللى كنتى بتدورى عليه! لقيتيه فين؟"

="أه، جالى هدية".

-"غريبة، من أمتى صحابك بدأوا يهتموا باهتماماتك؟!"

="لا دول ناس تانين".

كانت أمى تلاحظ تغير حالتى هذه الفترة، وكانت تحاول استنتاج سبب تغيرى بهذه الكلمات والأسئلة ولكنها لم تنجح فى معرفة السبب

الرئيسى فغادرت الغرفة، وأنا أفكر فيما قالتهُ لى.

فى المساء، الجو شتوى بارد، قررت أن أمُن على نفسى بكوب قهوة دافئ خارج المنزل، وأحاول العودة إلى الكتابة مرة أخرى وبشكل جدى، بعد توقفى لعدة أيام، أحاول أن أعود لهذه اللحظات مرة أخرى، أن أمشى فى شوارع أحبها كثيرًا، أضم ذراعى لأحتضن نفسى فى هذا الجو الصاعق، أتجنب المشاة والمارة بجانبى لتفادى تحديقهم فى خطواتى البطيئة التى أحاول ترتيبها مع صوت الموسيقى الهادئ فى أذنى، تمامًا كما علمتنى.

مقهى وأنت مع الجريدة جالس.

لا لست وحدك، نصف كأسك فارغ.

والشمس تملأ نصفها الثانى.

ومن خلف الزجاج،

ترى المشاة مسرعين، وأنت لا تُرى.

انتهت بى هذه الخطوات إلى طاولتى المفضلة فى هذا الركن خلف الزجاج، وحدى تمامًا، لم أُرد أحدًا أن يشاركنى هذه العزلة التى أفرضها على نفسى أحيانًا، من قال إننى وحيدة؟ هناك قهوة وقصائد محمود درويش، هناك أيضًا موسيقى فيروز وكولد بلاى، هناك جارسون ودود لا يقدم لى القهوة بدون سكر.

كم أنت حُر أيها المنسى فى المقهى!
فلا أحد يرى أثر الكمنجة فيك،
ولا أحد يحملق فى حضورك أو غيابك،
كم أنت حُر فى إدارة شئونك الشخصية
فى هذا الزحام، بلا رقيب منك أو قارئ.

أعلم جيدًا أنى نجحت فى الهروب من ضخب العالم والاختباء خلف هذا الزجاج والادعاء أنى هنا فقط أحاول إنجاز بعض الكتابات، نجحت فى الهرب من الأفكار المشوشة ووضعها فى كوب قهوة، ولكنى لم أنجح فى الهرب منهُ، فهنا كُنا نلتقى دومًا، أعتقد أنه لم يتغير شىء، نفس الموسيقى، الدخان الذى كُنا لا نطيقهُ والذى ساهم فى تحويل هذا المكان إلى علبة سجائر مغلقة، لكن الشىء الوحيد الذى ألتمس تغييرهُ هو هذا الكرسى الذى أصبح فارغًا أمامى، لم يعُد هنا، قد ذهب، ذهب وأخذ معهُ الحس الفكاهى الذى كان يخرجنى به من همومى، ذهب وأخذ معهُ حديثنا التافه الذى لا ينتهى عن الموسيقى والأفلام والكتب التى نحبها، لم يبق شىء سوى أنا وكوب القهوة ودخان الكافيه الذى كانت رائحتهُ تغطى ملابسنا.

أصبح هو أيضًا دُخانًا، أصبح وجودهُ كالدخان، رائحتهُ قوية ويترك أثرًا

ولكن صورتهُ مبهمة لا أراها بوضوح.

يبدو أنى قد نسيت السبب الرئيسى لتواجدى هنا واستسلمت لهذه اللحظات مرة أخرى وعُدت أفكر فيه مجددًا.

أحاول إقناع نفسى بأنى هنا لأكتب، لأحقق شيئًا، ولأنى قد اعتدت على هذا المكان لا لأنى أفتقدهُ.

لكن علىّ الاعتراف أنهُ لم يترك لى مهرب منهُ، بل ترك لى أثر فى كل مكان، ترك لى مكانًا فارغًا بجانبى هنا فى فابيانو، ترك موسيقى وأسماء كتب وأفلام، ترك ألم لفراقهُ لن ينتهى أبدًا، ترك ذكرى عابرة تقتل.

حسنًا، أعتقد أنى فشلت وعدت لنفس الأسئلة والطرق المبهمة مرة أخرى.

فاصنع بنفسك ما تشاء، اخلع قميصك،

أو حذائك إذا أردت، فأنت منسى وحر فى خيالك

تكون كما تكون.

فلا صديق ولا عدو يراقب هنا ذكرياتك.

فى اليوم التالى تعجلت من أمور السفر، قررت الرحيل والابتعاد لفترة، قررت ترك كل الأمور والأسئلة خلفى دون الاهتمام بنتائجها أو إجاباتها.

فى الوقت نفسهُ عادت محادثات سطحية بينى وبين زين، وعُدت كالإنسان

الذى يعيش حياتهُ على فترات ما بين انقطاع النفس والعودة إلى التنفس مرة أخرى بعد أخذ الجرعة اللازمة من الدواء، وكانت هذه المحادثات القليلة والمنعدمة أيضًا بيننا كمثابة جرعة استمرار يوم آخر فى حياتى.

أرسلت إلى أمير وأخبرتهُ بأنى سأرحل وإنى لن أستطيع مواصلة هذا الطريق وإتمام الرواية المتفق عليها، وأنى أشعر بالعجز وغير مهيئة لهذا اللقب حاليًا.

صمت أمير للحظات جعلتنى أشعر بالارتباك قليلًا، ثم قال:

-"أنا مش عارف والله! بس أنا مش شايف إن كتاباتك وحشة، وإنك عظيمة جدًا وهتقدرى تنجحى وتوصلى، تخيلى نفسك وانتى ليكى كتاب باسمك وسط الكتب اللى بتحبيها، ونصيحة منى بدل ما تهربى وتستلمى ارجعى أقرأى كتاباتك كأنك بتقرأى لحد غريب، وعظميها وعظمى نفسك جدًا".

أغرورقت عيناى بالدموع وشعرت بالذنب والقسوة تجاه نفسى وما أفعل. فلقد كان زين هو سبب عودتى للكتابة بعد غياب طويل سابقًا، وبالرغم من تشجيع أمير لى بعده وإصراره على أن أفكر جديًا فى اتخاذ خطوة إنشاء كتاب، إلا أننى أشعر بالعجز بدون زين، أفتقدهُ وأفتقد آراءهُ المزعجة على كل ما أكتب والتى تزعجنى أحيانًا، أشعر بأنى فقدت

شغفى مع فقدهُ، وهذا أسوأ شعور أن يفقد المرء شغفهُ تجاه كل ما يحب، وكأنه فقد نفسهُ حقًا.

ليتنى أستطيع العودة**!**

أرسل لى أمير مجددًا:

-"بُصى لو عايزة تبعدى لفترة وتسافرى، لو ده اللى هيريحك أعملى كدا، بس ما ينفعش تفوتى حفلة بكرا".

="حفلة**!** حفلة إيه**؟!**"

-"مسار إجبارى".

مسار إجباري وحفلة يشتاق إليها القلب

أستيقظ على صوت رسائل أخرى مزعجة تحمل نفس المضمون، "هاتروحى الحفلة؟"، رغم اختلاف الأشخاص.

حسنًا، أمسكت بهاتفى لأرى، اتسعت عيناى للحظة! زين! إنهُ هو، هذا اسمهُ بين رسائل عديدة، أرسل لى ليخبرنى بأنهُ سيكون فى الحفلة، أخبرتهُ بأنى سأذهب مع صديقتى ليلى، اتفقنا أن نلتقى هناك، بالطبع لا يجب أن يعرف أنى متحمسة لرؤيتهُ وأنى أشتاق إليه كثيرًا.

حسنًا، حسنًا، ضربات قلب مسرعة تفوق المعدل الطبيعى، تنفسى، حاولى، هيا، نهضت من سريرى أصرخ فى حماس وفرح بعد هذه الرسالة، وتجاهلت الرسائل الأخرى، أو أنى نسيت أن أرد، فلا يهم فقد اكتفيت بجرعتى الصباحية ولا أريد أحدهم أن يفسد علىّ هذه اللحظة حتى وإن كانت برسالة لا تحمل شيئًا من الأمر الهام.

الساعة السابعة مساءً، ساقية عبد المنعم الصاوى الزمالك.

احتشد الناس أمام البوابة وازدحم المكان، وصلت كالعادة قبل المعاد بنصف ساعة، أنظر حولى بين الوجوه الكثيرة، أحاول أن ألمحهُ صدفة تجعلنى أتحدث إليه مرة أخيرة قبل مغادرتى، ثم أنظر إلى هاتفى بتوتر أنتظر مكالمة منهُ ليسألنى: "أنتِ فين؟"

ثم حسنًا محاولة فاشلة، لن يهتم لأمرى فهناك الكثير غيرى معهُ فلماذا يهتم لأمرى أنا! ربما انشغل عنى كالعادة أو نسينى أصلًا!

نظرت لى ليلى، والتى كانت غاضبة من زين على ما فعلهُ بى وفى الوقت نفسهُ غاضبة منى أنا أيضًا وتشعر بالحزن على حالتى هذه، ثم أمسكت بيدى فجأة بحماس لندخل الحفلة، أخبرتها بأن ننتظر لحظة أخيرة، وأنا أنظر إلى هاتفى أنتظر مكالمة واحدة فقط.

ثم صمتت لحظات وقالت فى غضب: "بطلى تستنى! مش هيتصل، كفاية تعشمى نفسك ع الفاضى، وتوجعى قلبك، هو مستمتع بوقته دلوقتى مع كل اللى حواليه، هيفكر فيكى ليه؟ بلاش تعذبى نفسك وتعيشى فى وهم".

كانت هذه الكلمات بمثابة صفعة قوية على وجهى، بالفعل استستلمت واتجهنا للداخل، أحاول رسم ضحكة مصطنعة مثل الآخرين وأدعى السعادة وقلبى يتألم انتظار مكالمة واحدة منهُ، وكلما فكرت حقًا أنهُ

مستمتع بوقتهُ من دونى، كنت أدفع نفسى بطاقة وهمية للاستمتاع أيضًا من دونه.

تصعد فرقة مسار إجبارى على المسرح ويتعالى مع صعودها تصفيق حار وصريخ فى حماس من الجمهور، وليلى تمسك بيدى وتجبرنى على الصريخ والاندفاع معهم لإخراج كل الطاقة والأفكار السلبية من جسدى وذهنى، شعرت بالراحة قليلًا وحاولت تجاهل الأمر وأن زين موجود فى نفس الحفلة وليس معى الآن.

تبدأ مسار إجبارى الحفلة ويزداد اندماجى أكثر مع الموسيقى.

"ما أنا أتعودت أحلامى أشوفها بتجرى قدامى وملحقهاش... وملحقهاش".

تذكرت نفسى مع هذه الكلمات، أدخن أول سيجارة لى فى ميدان سفير وأفكر فى أن أسكن وأترك كل شىء حولى، ثم أعلن إضرابى المفاجئ عن السجائر وألعن هذه الأفكار التى تهدم عقلى وتُصر على إحباطى وهى تعلم جيدًا أنى لا أملك الطاقة الكافية لإخمادها.

"زيك أنا...مقسوم ما بين الضفتين، ببعد ساعات وساعات يرجعنى الحنين،

أوقات بحس إننا..شمس وقمر..طريقين سفر..مابيتلاقوش..أغراب

ما بين كل الوشوش".

تذكرت زين، وإحدى جدالاتنا التى عادة تنتهى بانتصاره هو، مع ذلك أرفض الاعتراف بأنه انتصر وأظل أعاند حتى أجعلهُ ييأس، التفت إليه ذات يوم وقلت بثقة:

-"أكيد لاء، بس أنا بعرف أقرأ الناس اللى قدامى كويس، واعرف هما بيفكروا ازاى ولو حد فيهم كان هيأذينى كنت بعدت".

أجاب بكل دهشة ممزوجة بسخريتهُ المعتادة: "يا سلام!"

ثم نظر إلى عينى نظرة أربكتنى كثيرًا وأكمل بتحدٍ ونفس الثقة: "طب أنا قدامك أهو، أقرأينى كدا وقولى لى بفكر فى إيه، يلا!"

صمتّ للحظة أمام عينيه المليئتين بثقة تهزمنى دائمًا، ثم قُلت فى ربكة ممزوجة بمزح: "أنا قلت ناس على فكرة، ها". بالطبع ناس! فلا بد ألا يعلم أنى لطالما شعرت بالعجز عن قرأتهُ والتسلل إلى داخلهُ، فكان دائمًا كاللغز الذى تشابكت خيوطهُ أمامى ولم أنجح أبدًا فى فكها؛ ضحك كثيرًا بعدها.

ثم تشتعل الأجواء مع صوت الموسيقى الذى يرتفع مع صوت هانى الدقاق وهو يقول:

"كل الجراح جوالك بالصبر تطرح ورد".

تذكرت أمير ومريم وتحفيزهما لى على مواصلة ما أحب دائمًا وعدم التخلى عنهُ، وقراءة كل ما هو جديد لى، أتذكر أمير وهو يقول لى: "أكتبى لو محدش هيقرالك وعظمى كتاباتك ونفسك، عظميهم جدًا".

أين أنت يا زين؟! لماذا لم تتصل؟! هل أتصل أنا؟ بالطبع فكرة مجنونة.

انتهت الحفلة وأخرجت هاتفى بالفعل لأتصل أنا، ولكنى وجدت اتصال مفاجئ من مالك!

-"أنتِ فين كدا؟"

بالطبع يعرف أين أنا، ولطالما كرهت أسئلتهُ المزعجة التى يقتحم بها خصوصياتى حول: " أنتِ فين؟ كنتى مع مين؟ إلخ".

أكره هذه الطريقة حقًا، يشعرنى بها كأنى سجين عندهُ يحقق معى، أكره اللحظة التى أهلكنى فيها وقتل ما بداخلى ليجعلنى كالدمية المتحركة فى حياته الروتينية، أكره أيضًا اللحظة التى حاولت فيها أن أدفعهُ ليتغير من أجلى، من أجل أن نبقى ولكنهُ رفض واكتفى بقوله: "بحبك"، لإثبات هذا، ولكن عُذرًا أنا لا أومن بالأقوال عزيزى.

أخبرته ليلى: "أحنا قدام الساقية، لسه خارجين من الحفلة".

أخبرها بأنه أيضًا هناك، وما هى إلا لحظات حتى وجدناه يقف أمامنا، ارتسمت على وجهى ابتسامة مزيفة خفيفة أمام ابتسامته اللزجة

وصافحتهُ، ثم تجاهلته هو وليلى، واستمررت فى البحث عن وجه مألوف لى ولكنى لم أجد، وعدت أصاب باليأس، ربتت ليلى على كتفى ونظرت إلى عينى الحزينتين وقالت:

-"خلاص يا منة، يلا الوقت اتأخر".

أصعد على الكوبرى المجاور للساقية، فى خطوات بطيئة خفيفة وقلبى مُحمل بثقل الدنيا، وقبل وصولى لنهايتهُ، نظرت إلى أسفل لأراهُ، يقف هناك! كأن شيئًا ما انتشل قلبى وقتها، شلت أعضائى ووقفت مكانى فوق أنظر إليه ولكنهُ لا يرانى، أحاول كسر الحواجز بيننا وتحريك قدمى لأذهب إليه، أعاتبه على تركى وعدم الاتصال ومصافحتهُ للمرة الأخيرة، ولكن صوتًا ما بداخلى أوقفنى وهو يقول لى:"أنتِ بتعملى إيه! هو واقف مع أصحابهُ، مبسوط، لو بيفكر فيكى ومهتم لأمرك كان وسط كل ده كلمك أول ما خلصت الحفلة حتى".

جعلتنى هذه الكلمات أفشل حتى فى مواجهتهُ، فقلبى حزين وسرعان ما كان ينظر لى زين حتى يقرأ ما بداخلى ويفهمهُ ولم يكن من المفترض أن أظهر بهذه الهشاشة أمامه، ربما لم تسمح لى الفرصة بأن أكون معهُ ولكنى هنا أدّعى أنى بخير، أكتفى بالنظر إليه، أتأمله مرة أخرى، يضحك، هل أنا حقًا بخير؟

قطع صوت أفكارى ليلى تصرخ:

-"منة! يلا كدا أتأخرنا جدًا".

رحلت.

ركبنا السيارة وما أن تحركت خطوات حتى سمعت صوت هاتفى يرن.

زين!

قال:"منة، أنتِ فين؟"

قُلت بصوت مختنق بالبكاء:"أنا مشيت".

="مشيتى!"

-"أنت فين طيب؟"

="أنا لسه هناك".

انتهت المكالمة وأنا أطلب من ليلى أن أذهب إليه، فقد هاتفنى، أرجوها أن تتركنى وقلبى يتألم، أقول إنه بالطبع ينتظرنى وأحاول أن أجد له مبرر فى داخلى لأغفر له تركى وإهمالى، تحاول ليلى تهدئتى وتقنعنى بأنه فات الأوان وأننا قد رحلنا وانتهى الأمر ثم قالت:

-"وبعدين هو لسه فاكر يتصل!"

استطاعت ليلى كالعادة أن تجعلنى أستسلم وأصمت، ولكنها لم تنجح فى إدراك مدى احتراق الداخلى، سكنّت مكانى، أنظر إلى الطريق، لا

أعلم من ألوم على هذه الحال.

«لو كنت بس ساعتها عارف إن دى المرة الأخيرة، مية مية كانت هاتفرق فى الوداع».

نصف ساعة في المطار

قررت السفر، قررت الرحيل وترك كل شىء، ربما الابتعاد هو الدواء لهذا الجرح غير الملتئم، لهذا المرض الذى يأكل من روحى.

طلبت منى صديقتى مريم أن تصطحبنى للمطار، وافقت لأنى بالتأكيد أحتاج إلى رفيق روحى ليطمئننى، وكانت مريم هى الرفيق الأسلم، فأرواحنا متشابهة وأفكارنا متفقة.

فى الطريق تسللت إلى جسدى قشعريرة بسيطة، هل أتراجع؟

تذكرت نفسى السابقة، لطالما تمنيت السفر، الهروب والابتعاد عن عالم لم يشبهنى، عن كل شىء وكل شخص يرهقنى وجودهُ فى حياتى، عن الذين يختبئون خلف أسماء مزيفة، أصدقاء، عائلة، أحباء، ولكنهم ليسوا كذلك، أو ليسوا كما أردت أنا، تذكرت أيضًا زين-وكيف لى أن أنساه-، هو من دفعنى لتغيير كل هذا والتخلص من آلام خوض معارك لن أنتصر فيها، هو من أعطانى القوة والشجاعة لمواجهة التغيير والإيمان بأن الحياة التى تمنيتها طويلًا هنا فى مكان ما، هو من أمسك

بيدى لاكتشاف ذاتى من جديد، هو من تركنى فى منتصف الطريق أيضًا عالقة، أتألم أيضًا، والآن أنا أعود لطريقى المعتاد، الهروب.

وصلت إلى باب المطار ثم طلبت من مريم الرحيل وأخبرتها أنى بخير وسأكون أيضًا، عانقتنى حتى اغرورقت عيناى بالدموع التى أخفتها نظارة الشمس السوداء، والتى أخفت نصف وجهى المرهق تقريبًا.

تأملت باب المطار للحظة قبل الدخول، ثم تنفست الصعداء وتحركت فى شجاعة.

جلست أحتسى كوب قهوتى المعتاد والذى أطلقت عليه مؤخرًا: "الصديق والرفيق وقت العُزلة والضيق"، فحقًا لا صديق غيره هنا الآن، ولا عائلة ولا حبيب أيضًا، مكان غريب، يحمل الكثير من التفاصيل والتعابير على أوجه المسافرين.

أحاول تصفية ذهنى، ومراقبة كل شىء حولى فى هدوء وسكون، أشعر بتوتر والقليل من الخوف، ثم أقنعت نفسى بأن هذا أمر طبيعى.

لطالما خُضت معارك النسيان، ولطالما انتصرت فى النهاية، فكم من مكان احتضن ذكريات كُنا نعتقد أنها لا تُنسى ولكنهما الآن أصبحا نسيًا منسيًا، وكم من شخص كان عزيزًا مُحبًا وأصبح الآن عابرًا، كل شىء سيصبح عاديًا بمرور الوقت، الوقت الذى يعالج كل شىء كما

يقولون.

متبقى الكثير من الوقت على إقلاع طائرتى، على الأقل نصف ساعة، أخرجت مدونتى الصغيرة على الهاتف ثم شرعت إلى الكتابة لإضاعة بعض الوقت وتصفية الذهن.

"عندما ترحل أنت لن يبقى شيء لكتابتهُ، سوف تنتهى كل الأسئلة التى تثير الذهن، وأقف على حافة كل الطرق المبهمة مرة أخرى لأجد بداية جديدة، كالعادة كأى إنسان يأتى ويرحل أنت، أصبح كل شيء عاديًا، العادى الجميل، انطفأ بداخلى هذا الشيء الذى كان يرى فيك بريق العالم فى عتمة الليل، أحقًا أنا أقول الصدق؟ أم إنها كلمات مزيفة تُربت على قلبى المحطم! أخشى هذه الحقيقة أحيانًا.

عندما بحثت فى كل ما هو حولى، لم أجد لك مكانًا بين هذه الأغراض الثمينة التى احتفظ بها وتغطيها الأتربة بمرور هذا الوقت اللعين، وجدت مكانك فارغًا، كالعادة كمكانتى أنا بداخلك-مكانتى الفارغة- والتى أوهم نفسى أحيانًا بأنى أحظى بمكانة عظيمة بداخلك ثم تصطدم توقعاتى وأوهامى بأفعالك، من يهتم ومن يعبأ لكل هذا؟ لم أعُد حقًا أهتم".

ضغطت على زر نشر دون تردد هذه المرة، بالطبع سيراها أو ربما لا، لا

يهم. أغمضت عينى وتنفست بعمق على أمل أن أستطع تحقيق كل ما قررتهُ منذ ثوانٍ، لقد تغيرت أشياء كثيرة فى وجودهُ، آمل أن يتغير الباقى منها ولكن هذه المرة سأمضى وحدى.

سمعت صوت نداء لطائرتى، أسرعت بحقائبى الثقيلة جدًا للدخول، ثم نظرت خلفى عند أخر خطوة نظرة أخيرة.

نظرة أسى وحزن مدفون، ثم صوت بداخلى يقول:

"هو مش مهتم وأنا وانتى والجيران وكل الناس عارفين كدا، يلا يا شاطرة فى طيارة هتفوتك".

تبًا لهذا الصوت اللعين الذى يكسرنى دائمًا!

الرحيل

وصلت إلى مطار تركيا - اسطنبول.

شعرت بشيء غريب فى الغربة، الهواء الذى يلفح وجهى، المكان هنا، فهذه هى المرة الأولى التى أسافر فيها وحدى، على الرغم من تعلق الفكرة فى ذهنى منذ سنين.

كان خالى ينتظرنى بالخارج، سعدت بلقائه فلم أرهُ منذ سنين، منذ أن ابتلعهُ السفر والغرق فى العمل، هناك شيء ما غريب كان يربطنى به منذ الصغر وبه هو بالذات، ربما أنى شاركتهُ نفس الحلم على الرغم من صغر سنى وقتها، فدائمًا كنت أراقبهُ وأتسلل إلى غرفتهُ سرًا لأعبث بأغراضهُ وأكتشف ما تتعجب له طفلة، كنت أعبث جاهدة فى أن أقلدهُ فى كل شيء.

كان يسعى للتخرج من كلية الفنون التطبيقية ليصبح مهندس ديكور، أعتقد أننا تبادلنا الأدوار الآن وأصبح هذا حلمى، فأنا أسعى جاهدة الآن للتخرج من هذا الكابوس الذى يطلقون عليه تعليم وكلية، ولكنى

هنا الآن لأعمل معهُ من البداية، أكتسب من خبراتهُ، كما كنت أفعل منذ طفولتى، ولكن شىء ما لم يعد كالسابق، لم أعد هذه الطفلة، ربما.

استقبلنى بلهفة وفخر وفرحة رسمت فى قلبى ووجهى السعادة، ثم تحدث إلى أمى على الهاتف ليطمئنها أنى وصلت وأن كل شىء على ما يرام.

كانت فكرة المكوث معهُ فى نفس المنزل صعبة بالنسبة لى، فلم يعُد خالى الشاب الوحيد والمستقل كما كان، أصبح متزوج ولديه أولاد الآن، لذلك قررت أن أمكث فى فندق على الرغم من إلحاحه وتكرار جملة:

"ما يصحش بيت خالك يكون موجود وتنزلى فى فندق"، ولكنى أصررت على قرارى هذا، وأخبرته بأنى سأكون أكثر راحة هكذا، ابتسم وقال لى: "ما كبرتيش يا منة، لسه عنيدة زى ما أنتِ"، ابتسمت أيضًا.

اختار لى فندق قريب من منزله ومن وسط المدينة، ليس فخم ولكنه بسيط وجميل، التفت لى بعد إجراء كل الأوراق الخاصة بالفندق ثم قال:

-"عارف إنك هتحبى تكتشفى المدينة فعشان كدا اخترت لك فندق قريب من كل حاجة هتحتاجيها".

شكرتهُ على كل شىء وودعتهُ بابتسامة فى لطف.

صعدت إلى غرفتى لأرتاح قليلًا، ونظرت إلى كل شىء حولى بشرود، كأنى لا أصدق أنى فعلت ذلك حقًا وابتعدت كليًا، ثم شرعت فى القراءة التى تساعدنى على النوم بسهولة.

«The more I walked toward a house, the farther away the house got from me»

استوقتنى هذه الجملة فى الكتاب الذى أخرجتهُ لتوى ليؤنس وحدتى هذه كالعادة، والتى يعنى بها الكاتب أنه كلما اقترب من المنزل كلما زادت المسافة بينهما وبعُد المنزل عنهُ.

ولكن أحقًا كلما ابتعدنا عن الأشياء ولم نعرها اهتمام زائد تقترب هى تلقائيًا مننا؟ أكان الهروب دومًا هو الحل؟

تذكرت أيضًا أن الكون كله يمارس مراوغة الاستغناء والحاجة، كلما استغنينا عنه، سلم هو بحاجتهُ لنا.

تركيا – اسطنبول

استغرقت ساعة كاملة أمام المرآة أحاول اختيار فيها ملابس ملائمة لهذه الأجواء وهذه البلد، الجو لطيف خريفى من النوع الذى أحبهُ.

لحسن الحظ أن غرفتى فى الطابق الثالث مما جعل فكرة استخدام السلالم العادية تزيل علامة التعجب المستمرة عن وجه موظف الاستقبال تجاه الفتاة المصرية التى لا تستخدم المصعد الكهربائى، لكن إليك هذا أيها الموظف الغريب أنا أخاف المصاعد الكهربائية، لهذا كف عن هذه النظرات اللعينة التى تشعرنى بالغثيان.

وقفت أمام باب الفندق لحظات أحدق فى كل شىء حولى من خلف نظارتى الشمسية السوداء التى لا تغادر مكانها إلا نادرًا، أحاول تحديد وجهتى، ولسبب لم أهتم بمعرفته لم أستخدم جوجل لمعرفة الطريق، سرت بعشوائية. فى السفر تعلمت شىء، عندما يرتاح بالى لمكان ما أشعر أنى أفقد هويتى هناك، وأنى بلا شك أنتمى إلى هذا المكان بشكل أو بآخر.

لا أعلم شىء ولكن أشعر بالفراغ الذى بداخلى يغطى كل ما بالخارج حولى، لأشعر بخلو المكان رغم تكدس الناس ولكنى وحيدة ولا أحد هنا ليشاركنى حتى جدالًا لا ينتهى أو مكان مللت من زيارته ولكنى سأظل أتردد إليه لأنى اعتدت عليه.

قدمى وعقلى الفارغ يقودونى إلى مطعم صغير قريب من الفندق، ولكن أعتقد أنها معدتى أيضًا من شاركتهم فى ذلك، لأن بدون شك رائحة التشيز فرايز هذه هى ما أثارت عصافير بطنى وحولتهم إلى وحوش مفترسة جائعة.

لا أعرف كم كمية الفرايز التى تناولتها، ولكنى أعرف أنها لذيذة وأنى أيضًا لم أتناول شيئًا منذ الصباح، عدت إلى الفندق بعدها لأجد رسالة من خالى على واتس آب:

-"فى اجتماع بالليل لفريق العمل اللى عندنا فى الشركة، هو منه اجتماع واحتفال صغير وترحيب بيكى، ودى فرصة مناسبة عشان أعرفك عليهم، هستناكى متتأخريش".

لا أعلم لماذا لم أُعر هذا الخبر اهتمام أو حماس زائد، ربما الخوف الذى بداخلى هو ما جعلنى باردة كالثلج، جئت إلى هنا لأعمل ولأكتسب خبرة جدية وأبدأ فى تحقيق أهم النقاط على قائمة أحلامى الطويلة،

ولكنى لم أنس السبب الباطنى الذى سيظل بداخلى، وهو الهروب، السبب الحقيقى لتواجدى هنا بالفعل، ولكن كيف سأهرب وأنا خاوية؟ كيف سأتخلص من تلك الأفكار؟ ربما انشغالى وملئ جدول أعمالى بشىء ما أكثر أهمية يزيل كل هذا تلقائيًا.

قفزت من مكانى، ووقفت أمام خزانة ملابسى، ارتديت أفضل ما عندى وأكثر الملابس بساطة لهذه المناسبة وتعمدت فعل هذا أيضًا المكياج وكل شىء، لم أكن يومًا أتفنن فى إبهار الجميع بملابسى الملفتة وكذلك المكياج! أى شىء زائد عن حده الطبيعى يفسد جمال وروعة كل شىء، حتى وإن اختلف المكان أو البلاد أو المناسبات! تعلمت هذا من زين بطريقة غير مباشرة، فهو لا يبذل مجهود لتجميل نفسهُ! عشوائى مميز بطبعهُ، وجميل أيضًا!

أرسل لى خالى سيارة لتأخذنى من أمام باب الفندق، وصلت أمام مطعم فاخر ولكنه لم يكن بالخارج لاستقبالى، لم أتصل به، دخلت إلى هناك وتعجبت لهذه الطاولة الطويلة فى منتصف المطعم، ومن ثم وجدتهُ يجلس فى أخرها، ابتسمت له ولكل هذا العدد الضخم الموجود هنا! والذى زاد من توترى.

وقف خالى فى مكانه وأشار إلىّ لأقترب، ثم أخذ يعرفهم باسمى، وكل

شىء.

جلست بجانبهُ خائفة ومترددة ومتوترة أيضًا من كل شىء، فهذه هى المرة الأولى لى فى اجتماع عمل، وليس لدى خبرة فى شىء من هذا النوع.

مرت الدقائق وهم يتشاورون ويتناقشون فى أمور العمل ولفت انتباهى من بين الجميع هذا الشاب الذى كان ينظر لى بطريقة غريبة، كان يجلس على الكرسى الذى أمامى مباشرة، كانت نظراتهُ مربكة ولكنه وسيم ومهندم، لديه ابتسامة ساحرة وخلابة، وعينان بنيتان وشعر بنى كثيف وذقن خفيفة، كان وجهه متناسق مع جسدهُ العريض، كان ينظر ويبتسم فابتسمت أنا أيضًا فى خجل، ثم أفقت على لكزة من خالى يقول:

-"أما منة هتكون مع وليد وسارة فى المكتب، وهيشتغلوا على اختيار الألوان والأبعاد مع بعض".

ثم أشار إلى هذا الشاب الذى كان يرسل لى النظرات والضحكات!

قلت مذهولة:

="هاه!"

ثم تملكنى الصمت وضحكت.

ليكمل خالى:

-«أتمنى إنكوا تبذلوا جهد لأن المشروع ده مهم، بالتوفيق».
وانتهى الاجتماع وانتهى أمرى معه، أو أنه بدأ لا أعلم!
مرت الدقائق وهمّ الآخرون بالرقص أو بالحديث فى أمور أخرى أو بالأصح قاموا للاستمتاع بالجزء الآخر من الاحتفال على طريقتهم، بينما ظللت أنا فى مكانى لا أعرف شىء أو شخص هنا.
ثم جاء هذا الشاب-وليد- يقترب منى فى هدوء، ثم مد لى يدهُ، صافحتهُ وقال:
-«ليه مش بتشاركينا الاحتفال!»
ابتسمت فى خجل ولم أجد إجابة مناسبة لأقولها فقلت:
=«عادى بس فى أوقات كدا مش بحب فيها الدوشة يعنى».
تعجب قليلًا لذلك ثم قال لى:
-«طيب تعالى معايا».
ذهبنا إلى الساحة الخلفية الخارجية للمطعم، كانت واسعة مليئة بطاولات خالية ومنظمة بشكل جميل أيضًا، المكان هادئ، ثم ارتفع صوت أغنية Apocalypse ، أمسك هذا الشاب بيدى لنرقص، لم أرفض أو أعترض، فأنا أحب هذه الأغنية!
شعرت بتوتر وغصة قليلة فى قلبى، وتملكنى الصمت، شعر وليد بقلقى

هذا ثم حاول كسر حاجز الصمت والتوتر بالتحدث وإلقاء بعض النكات المصرية التى لم تفشل فى إضحاكى، إنه شاب فى أوائل العشرينات ليس مصريًا، ولكنه عاش هناك أكثر من سبعة عشر عام، لذلك فهو يتقن اللغة ويعرف عنها الكثير جدًا.

انتهت السهرة واستأذن وليد من خالى أن يوصلنى إلى الفندق، لم يمانع خالى، عندما وصلنا إلى باب الفندق، قبّل يدى وأبدى إعجابهُ بمظهرى اليوم! ابتسمت وودعتهُ. صعدت إلى غرفتى ولكن هناك شىء ما غريب بداخلى، لا أشعر بشىء إلا بعدم الارتياح لكل هذا! لا أعلم لماذا! ربما أنى لم أعتد الأمر بعد، لنرى ماذا سيحدث بعد.

زهور تفقد روعة جمالها

مرت أيام وليالٍ فى هذا العمل الجديد، كل يوم وأنا أتعلم شىء جديد وأكتسب علاقات جدية جديدة، وأنهمك لساعات أنساها عند النظر إلى فراشى ووسادتى الدافئة فى نهاية كل يوم، كان وليد دائمًا بجانبى، يصحح لى أخطائى، يعلمنى كأنى فتاته الصغيرة، فهو مرح وخفيف الظل، يُضيف إلى حياتى الفارغة الكئيبة روحًا من بعض التسلية، كنا نعمل فى مكتب واحد ثلاثتنا حتى تغيبت سارة لظروف مرضية قاسية، فأصبحنا ثنائيًا نتشارك كل شىء.

أتذكر اللحظة الأولى عند دخولى هذا المكتب، أتذكر الحيرة والخوف من أننى غير مستعدة لهذا وأنى بالطبع سأفشل وأن هذا حِمل لن أطيقه؛ ولكن كان وليد هنا فى كل لحظة فشل أو استسلام أواجهها، يؤمن بى ويشجعنى حتى أقف ثانية وأحقق ما كان دائمًا يبهر الجميع، كان يقول لى دومًا أن طريقتى فى التفكير مختلفة، وهذا سبب ما جعلنى مميزة وناجحة.

كنا نعمل فى الصباح ونحتسى القهوة ليلًا بعد أخذ جولة فى هذه المدينة التى بالكاد أصبحت أعرفها، لم يكن يتركنى إلا عندما أبدأ فى التثاؤب ونلتقى فى يوم آخر لنبدأ من جديد. أنا حقًا لا أعلم كم عدد الساعات التى استغرقتها هنا وكم الإنجازات التى شاركت فيها، وكم الأعباء التى تحملتها بجدارة وثقة، ولكنى اكتشفت شيئًا ما فى نفسى، هو أننى كلما خُضت تجارب جديدة وتحدثت إلى أناس جدد، أو قمت بزيارة مدينة مختلفة، أجد شيئًا ما بداخلى يبرز تلقائيًا، أكتشف شيئًا ما فى نفسى جديد لم أعرفهُ من قبل.

ولكن من بين كل هذه الساعات وهذه الأعباء وعلى الرغم من الانغماس التام فى العمل الجديد كنت أختلس بعض الوقت لأتصفح السوشيال ميديا وأطمئن على زين من خلال أخبار عابرة، وهذا ما أكد لى أن هذا الجزء المحزن الجميل سيظل يحتفظ بمكانتهُ بداخلى وأنه لن يزول رغم كل شىء. إلى متى؟ وإلى أين يأخذنى معهُ؟ أنا لا أعرف لقد تأذيت كثيرًا من كل هذا! أنجح فى كل شىء ولا أستطيع النجاح فى الهروب والتخلص من التفكير والاهتمام لأمره، هذا الشىء المعقد!

لطالما تمنيت أن يكون هو هنا! يشجعنى على هذه الخطوة مثلما شجعنى من قبل على العودة للكتابة وعلى عودتى إلى نفسى التى فقدتها،

بدلًا من وليد الذى ما زلت لا أشعر بالراحة الكاملة له!

دق صوت الباب فجأة! إنه موظف الاستقبال يخبرنى بأن وليد ينتظرنى بالأسفل فى الريسبشن!

ارتديت ملابسى بعشوائية ونزلت إلى أسفل فى تعجب، ماذا يريد منى فى وقت كهذا! تشير الساعة إلى الحادية عشرة ولقد أنهينا عملنا منذ ساعات!

نزلت فى الأسفل ووجدتهُ جالسًا ينتظر، اقتربت منهُ ليقف مكانهُ، صافحتهُ وأخذ ينظر لى باهتمام ثم قال لى فى هدوء:

-"تسمحى لى أخدك دلوقتى مكان؟"

تعجبت لهذا وبداخلى ليس لدى طاقة لفعل أى شىء بعد اليوم غير التفكير فى النوم للتخلص من كل هذا وأبدأ روتين آخر جديد أبرز فيه أروع ما عندى، هل أهرب هذه المرة أيضًا من حفرة شفق وخذلان آخر أنا مقبلة عليه لن يجدى نفعًا؟

نظرت إلى عينيه التى بالكاد تسحرنى وتغلبنى بعد صمت طويل ثم أومأت برأسى بالإيجاب فى ابتسامة.

ركبنا السيارة وتركت نفسى هذه المرة لتكتشف كل ما حولها دون ضغط زائد وتفكير مرهق بعد احتساء كوبًا من القهوة لاستعادة نشاطى

الذهنى والبدنى أيضًا اللذين فقدتهما من كثرة العمل اليوم. مررنا من خلال وسط المدينة وبالطبع عرفتها دون سابق إخبار، فكانت تظهر ملامحها بشكل قوى، الازدحام، المحلات الكثيرة والمطاعم وهكذا، نظر لى وليد وأنا أتمعن فى كل شىء حولى من زجاج السيارة، ولم يتكلم طوال الطريق، ولكنهُ كان متحمسًا للغاية، فطوال كل هذا الوقت كان يفعل كل شىء لإبهارى، ولكنى كنت أنفر منهُ أحيانًا فجأة، اليوم استسلم.

وصلنا إلى مبنى كلاسيكى قليلًا، شبه فخم ولكنهُ ضخم ومرتفع للغاية! دخلنا إلى هناك وكان المكان مزدحم جدًا، شعرت بتوتر وضيق لأنى أكره الزحام! تركنى وليد للحظات للتحدث مع النادل بلغة غريبة لم أفهمها قط، ثم أمسك بيدى فجأة وصعدنا إلى الطابق العلوى خلال سلالم ذهبية اللون وضيقة، صعدنا إلى قمة هذا المبنى، حيث كان كما يبدو هنا لا سقف يغطى المكان هنا، فقط السماء المليئة بالنجوم، والأنوار الخافتة، المكان هادئ ولا يوجد سوى شخصين فقط على هذه الطاولة التى تتوسطها زجاجة الشامبانيا ونظراتهم المتبادلة بالأعين، أعتقد أنهما فى موعد خاص، اقتربت خطوات بسيطة من الحافة، أتأمل كل شىء، وأشاهد النجوم الهاوية فى عتمة الليل، بالأخص هذه النجمة

التى تنظر لى بقوة والتى يكاد بريقها أن يخترق كل ما بداخلى ليُنيره من جديد، أعتقد أنها تتأملنى مثلما أتأملها تمامًا، وتخبرنى أنه فى مكان ما توجد الإجابة على هذه الأسئلة المبعثرة فى عقلى والتى جعلت منى مؤخرًا كالطفل التائه من أمه، ثم أترك النجوم لتحليل أسئلتى وإجابتها، أتذكر وأحن فجأة لهذه الأغنية وهذه اللحظات:

"وياخدنى جوا سحر، ودندنة، وساعات غُنى".

أعتقد أن هذه هى إحدى اللحظات السحرية التى تحدثت عنها جدتى من قبل وأنا صغيرة، الوقوف على القمة، السماء القريبة، والنجوم المتلألئة، هل هناك ما هو أجمل من كل هذا؟

كان وليد يتأملنى فى تمعن ويبتسم، الساعة تشير إلى الثانية عشر بالدقيقة، ثم اقترب منى واحتضنى وقال:

-"كل سنة وانتى طيبة!"

تعجبت ونظرت له فى ذهول، ثم أكمل فى حماس:

-"أتمنى أمنية بسرعة!"

ضحكت ونظرت إلى النجوم مرة أخرى، ثم أغمضت عينى بشدة وتمنيت الاستقرار فى كل شىء، أنا شخص يحتاج إلى استقرار وترتيب لكل ما بداخلى من مشاعر وأفكار وتردد وقرارات، أعلم أن حياتى ليست

عادية، غريبة كما يقولون من يسير على نفس الأنماط التقليدية، ولكنى فى الحقيقة أعانى من كل ما هو مبعثر بداخلى وخارجى من حولى.

اغرورقت عيناى بالدموع وشعرت بغصة فى قلبى، ثم فتحت عينى فجأة ووليد يضع على رأسى تاج مكتوب عليه(بيرزداى جيرل)، تلألأت عينى كالنجوم وخفق قلبى للحظة، تناولنا العشاء وجلسنا نشاهد النجوم وننظر إلى بعض ونضحك، شعرت بأنى طفلة جميلة فى عيد ميلادها التاسع، لا التاسع عشر! ولكنى أطوق إلى فعل شىء مجنون! شىء ما يعيد لى روحى المفقودة!

انتهينا من جلستنا السحرية هذه وأشارت الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل، قررنا التمرد على السيارة ونذهب إلى الفندق سيرًا على الأقدام.

الطريق هادئ أيضًا، كل شىء أحبه هنا الآن، خلو المكان من الناس والضجيج، خفوت الأضواء، تذكرت شوارع القاهرة فى هذه الأوقات، الزمالك ووسط البلد ولحظات التسكع الليلى، شعرت بالسعادة والألفة تتسلل إلى داخلى، مما دفعنى هذا إلى أن أضحك بصوتٍ عالٍ، أجرى فى الطريق بحرية وأنا أصرخ، على الرغم من وصولى إلى التاسعة عشر الآن، ولكنى ما زلت أنا هذه الفتاة العبثية التى تكره الروتين وتحب الشتاء مهما أشتد بردًا، والليالى المتأخرة خارج المنزل، والصباح الباكر

جدًا قبل خروج الشمس من مكانها، ما زلت هذه الفتاة التى تغنى بصوتٍ عالٍ عندما تشعر بالملل، ثم تقرر بأن ترافق الأصدقاء حتى لا تشعر بالوحدة وتظل تقنع نفسها بأنها لا تخاف الوحدة وأنها أجمل بكثير، ولكنها كاذبة هذه المرة، ما زلت أحب رائحة القهوة والكتب، والسينما فى وقت متأخر من اليوم رغم هلعى وفزعى من تأخرى، ما زلت متمردة على كل ما لا أطيقه وعلى كل الطرق التى قرر العاديون من الناس اختيارها، ما زلت جريئة ومشاعرى مبهمة دافئة تجاه كل شىء حولى، ما زلت أصدق إحساسى فى كل مرة حتى ولو خذلنى آلاف المرات، أكره الحزن فأقرر أن أصمت أو أصنع من هذا الحزن نكتة أضحك عليها، ما زالت عيناى تتسع لكل شىء حولى وأكرر يا إلهى! عند سماع أحدهم يحكى لى شيئًا، ما زلت أحب موسيقى فيروز وكولد بلاى ومنير ولا أمل سماعهم.

لم يتوقف وليد مكانهُ ليلومنى على هذه الأفعال الجنونية، بل شاركنى وازدادت ضحكاتهُ حتى وصلنا إلى باب الفندق، احتضنتهُ كثيرًا وشكرتهُ على هذه الليلة وعلى كل شىء.

صعدت إلى غرفتى أرقص بخطوات خفيفة أثارت إعجاب موظف الاستقبال مرة أخرى، ثم حاولت أن أختم هذا اليوم بالنوم حتى لا أفسده،

لأبدأ يومًا جديدًا بنفس السعادة كما نصحنى وليد، ولكنى استلقيت على سريرى وأمسكت هاتفى لأتصفح السوشيال ميديًا، استقبلت رسائل عديدة للتهنئة بعيد مولدى الجديد، الأهل والأصدقاء هنا، ولكن لم أجدهُ بينهم**!** لم أجدهُ بين هذه الرسائل والصور والمكالمات، زين، هل حقًا ستتجاهل هذا اليوم أيضًا؟**!**

مواجهة

مرت أيام أخرى على عيد ميلادى حتى أصبح ذكرى خاوية ضاعت وسط العودة فى الانغماس فى العمل وتزايد الأعباء أكثر من السابق، لم أستقبل أى شىء من زين حتى اليوم، مرت سنة كاملة كان شبه موجود، أو أنا من أصررت على الاحتفاظ به بداخلى، وهو أخرجنى بكامل إرادته من حياتهُ! شهدت سنة فى غيابه والتألم على عدم ردهُ على رسائلى أو إعارتى اهتمام أستحقه كما فعلت! ماذا حدث وماذا يحدث!

جلست على مكتبى الخاص الذى لا أعرف متى وكيف أصبح ملىء بهذه الأوراق وبهذا الشكل، جلست أتأمل مستقبلى يسير بهذه الطريقة وعلى هذا النحو، على الرغم من أن كل شىء مثالى هنا ولكنى لم أطلب المثالية، طلبت الراحة فقط، لم أكن أصدق فى يوم أنى سأصل إلى نقطة حلمت بها كثيرًا ولا أجدها تكفى! ينقصنى دائمًا هذا الجزء الذى بنيت بينى وبينه سورًا وحصنًا منيعًا كنت أتسلقه بين الحين والآخر لأتفقد أمره خفية، زين!

عُدت أدراجى إلى الفندق وجلست فى اختناق ورغبة شديدة فى البكاء، بعد أن علمت بطريقة غير مباشرة أن زين مهتم بفتاة أخرى وعلى الأرجح نسينى تمامًا، فأنا لا شىء بالنسبة لهُ، ألقيت بنفسى على سريرى وأغمضت عينى بشدة ولم أستطع السيطرة على انسياب دموعى وقتها. أشعر بقلبى المتألم ونفسى المنكسرة، تعالى صوت بكائى هذه المرة ثم أسرعت بالنزول لأسفل، أحتاج استنشاق بعض الهواء.

كان الجو باردًا جدًا وللحظة شعرت بأن السماء ستحن علىّ بأمطارها وبالفعل أمطرت بغزارة، كأنها تشاركنى هذه اللحظات الحزينة.

دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وأنا أسير ولا أعرف إلى أين! لم أتوقف إلا عند شعورى بثقل قلبى المُعبأ بالألم يزداد، جلست على رصيف عندما بدأ المطر فى الخفوت، انكمشت وأنا أرتعد وأحتضن نفسى، لم أصدق أننى لم أستطع نسيانهُ وأنى برغم كل شىء ما زلت أهتم إن كان يفكر بى أم لا! رغم صدق معرفتى بأن الإجابة هى بالطبع: "لا"، ولكن هناك شىء ما بداخلى غريب، فكل ما فعلتهُ لتجاهلهُ كانت محاولات فاشلة وعبثية منى، أدارى بها كل ما بداخلى، لماذا يفعل بى هذا؟ أحتاج إلى إجابة على هذا السؤال المعُلق فى حلقى.

هدأت الأمطار قليلًا مع هدوء بُكائى، ولكنى ما زلت أرتجف بردًا

وألمًا وانكسارًا، ثم وجدت فجأة معطفًا أُلقىَ على كتفى، نظرت حولى لأجد عجوز ستينى يجلس بجانبى على الرصيف ولا ينظر لى، بل كان نظرهُ موجهًا أمامهُ مباشرة، قال كلامًا بالتركية لم أفهمهُ، اعتذرت لهُ بأنى لا أفهم التركية، ابتسم وقال بالإنجليزية الركيكة:

-"لما تبكين؟ لما كُل هذا؟"

هدأت أكثر وحاولت ترتيب كلماتى، ثم بصوت مرتجف وخافت قلت:

="لقد رحل، لقد رحل".

ابتسم العجوز مرة أخرى ونظر لى وقال:

-"الحب لا يرحل! وإن كان حُبًا حقيقيًا سيعود وسيبقى للأبد ولو بعد حين، ثقى فى ذلك".

ثم وقف ليرحل وهو يقول:

-"لا تبكى يا فتاة، احتفظى بالمعطف".

ثم رحل واختفى وأنا متسمرة مكانى غير مستوعبة لذلك، لم أعد أشعر بعقلى ولا قلبى ولا وجودى على قيد هذه الحياة، ما هذا الذى يحدث لى؟ هل تحولت حياتى إلى مقطع من فيلم أبيض وأسود؟

فى اليوم التالى جلست فى الصباح الباكر فى المطار أحتسى القهوة، بالطبع قمت بحجز أول طائرة متجهة إلى مصر، تبقى شهر واحد على

انتهاء الإجازة وبداية سنة دراسية جديدة، ولم أرد المكوث فى هذه البلد أكثر من هذا، ولم أُرد قضاء أخر شهر من إجازتى هنا أيضًا، قررت العودة وهذا ما فى الأمر.

تفاديت أى مكالمة أو رسائل من وليد لسبب لا أعرفه، لا أعلم ولكنى لا أريد أن تتطور هذه العلاقة أكثر من اللازم، ولا أعلم أيضًا إن كنت على صواب أم لا، ولكنى أعلم أنه يجب أن أتخلص من كل ما هو مزيف فى حياتى، هذه الصداقة الودية المؤقتة، وهذه البلد وهذا الهروب الذى توهمت بأنهما سيعالجان كل ما بداخلى، يجب معرفة الحقيقة ومواجهتها وحدى، لم يكن الهروب حلًا مفيدًا أبدًا.

أقوى من أي ماضٍ حزين

مرّت الأيام بسرعة الرياح بعد وصولى إلى القاهرة، لم أشعر بها. بدأتُ أحضر للسنة الدراسية الجديدة وكل شىء أصبح تحت مسمى عادى هنا، لا أحداث جديدة مشوقة، حتى هذه الليلة التى طرقت فيها أمى باب غرفتى وقالت:

-«جدتك رجعت من السفر وعايزاكى تروحى تقعدى معاها».

بالطبع كان هذا الخبر إنقاذًا لى من كل هذا الغرق، هرعت بتحضير بعض الأغراض وتوجهت إلى منزلها فى المساء.

فى طريقى للعودة لهذا المنزل مرة أخرى بعد غياب طويل واجهت كل ذكرياتى، وتذكرت كم كنا نعبث فى هذا الطريق، عند وصولى أخيرًا نظرت إلى منزلهُ المقابل لمنزل جدتى نظرة حنين وشوّق زائد هذه المرة، لكن لم تجرؤ قدمى على التحرك لحظة للأمام وطرق بابه، علىّ الاحتفاظ ببعض ما تبقى لى من كرامة فى هذه العلاقة المبهمة، ظللت أنظر وأنتظر طويلًا، ظللت مكانى حائرة، كالعادة!

فتحت جدتى باب منزلها فجأة وكأنها كانت تراقبنى وقالت فى مزاح:
-"إنتى نسيتى باب شقتى ولا إيه، معقولة كدا هاتخبطى ع الجيران".
اتسعت عيناى للحظات وتسمرت مكانى، ثم التفت لها وقلت وأنا أضحك فى ارتباك:
-"لاء طبعًا يا تيته، معلش أنا بس مرهقة شوية ومصدعة".
قالت وكأنها تتظاهر بتصديقى:
="آه!"
-"هما صح الجيران دول، هما جداد صح، تعرفيهم يا تيته؟"، تظاهرت بأنى لا أعرف شىء حتى لا ينتهى أمرى فى تحقيق لن أفلت منه.
="دول ناس جم سكنوا جديد ومشيوا فترة، وحاليًا مانعرفش عنهم حاجة".
-"ازاى؟ عرفتى منين؟ يعنى هما فين دلوقتى؟"
نظرت لى نظرة تعجب وقالت:
="من لويس، هو قال لى، وماعرفش عنهم حاجة لاء".
صمت لحظات ثم قطعتهُ جدتى:
="ألا أنتِ مهتمية كدا ليه؟"
قلت فى نفس الربكة:

-"لا خالص هاهتم ليه! بسأل عادى".

ولمنع كثرة الكلام ونظرات جدتى الثاقبة هذه قلت فجأة:

-"وحشتينى جدًا بجد، تعالى بقى احكى لى عن سفريتك".

="لا، لا، ده أنتِ اللى تحكى لى الأول، اومال أنا جيباكى ليه، بس بكرا لأنى هنام دلوقتى مش فايقة لك خالص، وانتى كمان خشى ارتاحى ونامى، وضبت لك أوضتك المكركبة".

ضحكت لكلماتها هذه ولمداعبتها التى لا تنتهى والتى اشتقت إليها كثيرًا.

شعرت بارتياح قلبى عندما قبّلتنى من جبهتى قبل النوم، شعور بالدفء لوجودها هنا بجانبى، رغم تواجدى هنا سابقًا وحدى ولكن الأمر مختلف تمامًا لوجود هذه المرأة العظيمة هنا فى حياتى.

كالعادة لجأت للقراءة فى نهاية اليوم لتساعدنى على النوم، وبينما أنا منغمسة فى قراءة هذا الكتاب الضخم، استوقفنى وصف الكاتب لإحساسه الطفولى عند سماعه الموسيقى:

"تتبدل مشاعرى الصغيرة ومزاجى الطفولى كلما تغير إيقاع الموسيقى، من البطء إلى السرعة، ومن الشجن إلى الفرحة، ومن الهدوء إلى الصخب، أشعر بأشياء لم أشعر بها من قبل، أرى زهورًا تنمو وفرحة

تغمرنى لا أستطيع تفسيرها".

كانت كلماته معبرة عن إحساس اجتاحنى سابقًا عندما سمعت موسيقى جديدة ومختلفة لأول مرة، تذكرت زين، وكيف أنه استطاع أن، ينقلنى بموسيقاهُ إلى عالم آخر، تسللت إلى ذهنى هذه اللحظات التى قضيناها سويًا، ثم ابتسمت فى حزن على كل ما رحل ولم يعد هنا، تذكرت أيضًا اللحظات المؤلمة وأنه الآن لديه من هُم أهم منى فلعنت كل ما سبق.

"أعلم أننى عاهدت نفسى كثيرًا سابقًا بالصمت، فلتشهد الأماكن وبعض الأصدقاء على بكائى وتألمى للتخلص من كل هذا، ولكنى شعرت بالعجز عندما فشل الكثيرون فى أخذ مكانتهُ بداخلى، لم يستطع أحد اقتحام هذه المكانة واحتلالها كما فعل هو، مما جعلنى أتأكد أنه لا يفارق مكانهُ أبدًا مهما كثرت الندوب والخسائر المتكررة، وهذا يؤرقنى كثيرًا، رغم محاولاتى الكثيرة الفاشلة، الآن أعترف لا مفر منهُ وإلى الأبد.

أحتاج لأن أغفر لنفسى يا خطيئتى الأجمل كما أغفر لك فى كل مرة أراك فيها تبتسم أو تغضب أمامى، لكن لا أحد بالخارج يعرف عنك، أنت شخصية مبهمة بالنسبة للآخرين، يبقى أنت وهذه الكلمات وحدكم بداخلى، وحدكم تعرفون، يبقى خيالك طيف ملازمنى وأكتب لك فى

كل مرة وأنا أتألم.

علمت أنى كنت فى طريقى للشفاء منك عندما حاولت مصارحتك بكل ما يؤرقنى نحوك وكم أشعر بأنى وحيدة وأن علىّ الآن تحمل تبعات اختياراتى هذه، ولكن وحدك من تجعل الاختيار أصعب. ثم فشلت وجاءت التساؤلات السخيفة التى تُفسد هذه الرفقة.

سخيفة هذه الحياة التى توقعناها أجمل، رسمنا لها صورة بداخلنا ذات خلفية بيضاء وفيلم إيطالى أبيض وأسود، ولكن وحدهُ من يتألم يكتب، وحدهُ من يتألم يبدع، للإبداع طرق عديدة متفردة، وحدهُ من يعانى يعرف طريقه الأسلم ليرسم وينشر عليه أوجاعه حتى تجف فيضىء ما بداخلهُ.

اختر طريقك إذن أيها القارئ وابحث عن رفيق لك يؤنس وحدتك ولكن إن كان رفيقك(نص كم) فعليك أن تسلك الطريق وحدك، افعل ما تشاء الآن فلا مكان للعاديين هنا".

ضغطت على زر نشر وبعدها أغلقت المدونة بعد كتابة بعض الأفكار العشوائية والتائهة التى تزورنى من حين لآخر.

تزداد رغبتى أكثر فى الكتابة كل يوم، أصبحت أكثر شراهة للتعرف على نفسى من خلال كلمات صامتة أكتبها فينطق بها الورق، لم تعُد

تؤرقنى الأصوات الداخلية أيضًا، بل بالعكس تمامًا أصبحت أستمتع بها وهى تحكى عنى كل يوم لأكتشف شىء جديد فى نفسى، تزداد رغبتى فى العودة أيضًا فأجد كل ما بداخلى ما زال حيًا يُرزق، أصبحت هذه هى الطريقة الوحيدة للتخلص من التفكير الزائد، اعتدت على هذا المكان الذى يفتح لى ذراعيه لمصارحته بكل ما أشعر، هذه المدونة الصغيرة التى عدت أنساها مرة أخرى وأنسى الكتابة كلها.

مرت دقائق ووجدت تعليقًا على هذه الكتابات، زين!

أرسل لى:"حلوة جدًا".

يا إلهى! أهذا هو حقًا أم أن هذا عقلى الباطن يتلاعب بى!

أرسل لى هذا التعليق وكأنه يعرف بطريقة ما أن كل هذه الكلمات له!

فهذه هى المرة الأولى بعد غياب طويل يُعلق لى على شىء بهذه السرعة والبساطة، تعجبت لهذا مما جعلنى أشعر بسعادة مفرطة، ولكن تبدل هذا الشعور سريعًا إلى توتر وبدأت الأصوات الداخلية فى منازعتى مرة أخرى:

"كلميه، إنتى بتهربي ليه؟ ومن إيه؟ كلميه وعاتبيه وواجهيه، حتى لو على غيابه الطويل ده، هو مش انتوا أصحاب؟"

جلست أحاول طرد هذه الأفكار والأصوات التى تملكتنى، مرت ساعتان

ولم أهدأ، بل ازداد التوتر وخفقان القلب أكثر.

أمسكت بهاتفى واتصلت بهِ فى خوف وشعور بأنه لن يجيب.

حتى انتهى صوت رنين الهاتف وفاز إحساسى فى النهاية، بالطبع لم يجب.

عُدت خائبة مرة أخرى، شعرت بأنى أريد صفع نفسى بيدى هذه لأجعلها تستيقظ من غفلتها، من هذا الوهم، أخذت أتمتم بصوتٍ عالٍ، ثم تحولت تمتمتى إلى صراخ وأنا ألوم نفسى:

"غبية أنتِ، كنتى فاكرة إنه عشان علق لك على مدونتك يبقى رجع زى زمان، كفاية بقى وفوقى".

تنفست بصعوبة وبغضب كثير، ثم حاولت أن أهدأ.

مرت دقائق على شعورى بالخجل لوضع نفسى فى هذه المواقف المحبطة ثم سمعت صوت الهاتف يرن، زين!

كان صوتهُ مختنقًا يقلقنى كثيرًا، أعتقد أنه ليس على ما يرام.

-"إنت فين؟"

="فى المستشفى".

إنها الحادية عشرة والنصف مساءً، لحسن حظى أن جدتى ما زالت مستغرقة فى نوم عميق، وأنى سأقضى الليلة عندها خارج المنزل اليوم

وإلا كانت أمى ستعارض فكرة نزولى فى وقت كهذا.
وصلت إلى المستشفى بعد أن أخبرنى زين بأن والدتهُ تمر بوعكة صحية حرجة وأنه معها منذ ساعتين ولا يعرف عنها شىء.
قررت أن أكون بجانبهُ ونسيان كل ما مر من مُر ولحظات انكسار وألم، لم أقو على تركه خصوصًا أنى أعلم مدى حبهُ الشديد وتعلقهُ بوالدتهُ.
دخلت المستشفى وصعدت إلى الطابق العلوى كما قالت لى الممرضة فى الأسفل، المكان هادئ تمامًا وبارد كالثلج، وقد أضافت أضواء الممرات الخافتة لونًا رماديًا يحمل كآبة ورهبة من المكان.
سِرت بخطوات خفيفة فى الممر الذى كان يجلس زين فى نهايتهُ أرضًا، كان قد أسند وجههُ على ركبتيه بعد أن ضمهما إلى صدرهُ.
اقتربت منهُ فى هدوء أكثر، فرفع وجهه ونظر إلىِّ، جلست على ركبتىِّ وأمسكت يدهُ لأطمئنهُ وهو ينظر لى بعينيه الحزينتين ووجهه الشاحب، ثم قال:
-"كنت حاسس إنك هاتيجى بعد ما كلمتك، كنت عارف إنك من هتسبينى".
ضممتهُ إلى صدرى احتضنتهُ بعد أن اغرورقت عيناى بالدموع، ثم قلت له:

=«ماكنتش هقدر أشوفك كدا واسيبك، وماكنش جنبك مهما حصل».
مرت الدقائق فى بطء شديد، يزداد المكان هدوءً وخفوتًا أكثر كلما مر وتأخر الوقت أكثر حتى أصبح فارغًا تمامًا، لا أحد سوانا هنا.
طلبت منهُ أن يستريح قليلًا على هذه الأريكة بجانب غرفة والدتهُ، بعد أن طمأنتهُ وأصررت على البقاء معهُ هنا الليلة.
استلقى على الأريكة وأسند رأسهُ فى نهايتها، جلست على الكرسى المجاور له مباشرةً، ثم بدأت فى قراءة بعض آيات القرآن بصوت غير مسموع.
دقت الثالثة صباحًا وأنا أنهى كوب القهوة الثالث لى هنا، فلا بد لأحد منا أن يظل مستيقظًا، وكان زين مرهقًا جدًا فخلد إلى نوم عميق على هذه الأريكة، خلعت معطفى واقتربت منهُ فى هدوء حتى لا أُوقظه، ثم جعلت من هذا المعطف غطاْءً لهُ، جلست على ركبتى مرة أخرى بجانبهُ وهو مستلقى كالطفل بعد يوم دراسى مرهق، تأملتهُ ومددت أصابعى لأتحسس وجههُ الدافئ، ثم وجدتهُ فجأة أمسك بيدى فى حنان وقبّلها وضمها إلى صدرهُ وظلت عيناه مغلقتين.
ابتسمت وبداخلى شعور ممزوج بالرضا والامتنان لوجودهُ وغصة القلب على كل ما حدث بيننا، ليتنى أستطيع أن أغفر لك بسهولة يا زين،

ولكن الأمر كل الأمر عالق بداخلى، يزداد النسيان صعوبة عندما يتعلق الأمر بمن هم أقرب لقلبك، فتلوم نفسك وتلومهم لعدم توقعك كل هذا الخذلان منهم ومن أفعالهم.

لم أُفلت يدى من بين يديه، ظلت عالقة وظللت أنا بجانبه لوقت أطول، عالقة أنا أيضًا، قتعقدت الخيوط بيننا أكثر.

لم أشعر بشىء إلا بصوت الممرضة وهى توقظنى، إنها الثامنة صباحًا، غفوت البارحة وأنا جالسة أرضًا بجانب الأريكة، وجدت زين ما زال ممسكًا بيدى ومستغرقًا فى نوم عميق، كأنهُ بالفعل اطمأن لوجودى.

سحبت يدى فى هدوء حتى لا أوقظه وأمسكت بهاتفى لأتصل بجدتى عندما وجدت خمسة مكالمات فائتة منها! تحدثت إليها وشرحت لها الموقف فى هدوء وتفهمته.

استيقظ زين وجاء الطبيب ليطمئننا بأن والدتهُ قد تعافت وأننا نستطيع أخذها اليوم معنا، لمعت عينا زين فرحًا وعادت زهور قلبه تنمو وهو يكرر:"الحمد لله"، وينظر لى فى سعادة.

فى المساء ذهبنا إلى المنزل ثلاثتنا، سعدت كثيرًا بمعرفة والدة زين وهى أيضًا، فهى تحمل الكثير من طباعه، المرح وخفة الظل والابتسامة الجميلة.

وصلنا إلى المنزل وقلت لهما بعد أن اطمأن قلبى وتأكدت أن كل شىء على ما يرام:

-«حمد لله ع السلامة يا طنط».

وسرعان ما كنت أستأذن للرحيل حتى قالت فجأة:

=«تستأذنى رايحة فين؟ أنتِ هتكملى معانا اليوم النهاردة مش هاسيبك تمشى كدا».

ثم بعد جدال فشلت فى الفوز به قررت البقاء، ثم نظر لى زين وقال:

-«خليكى، أنا عايزك تبقى موجودة النهاردة، كدا كدا أنتِ قاعدة عند جدتك والباب فى وش الباب».

ثم اتسعت عيناى وتذكرت جدتى التى بالتأكيد ستقتلنى وتذكرت حديثنا السابق أنا وهى عن الجيران ثم سألت زين:

-«هو أنتوا مشيتوا من هنا الفترة اللى فاتت دى؟»

=«اه، حصل مشاكل واضطرينا إننا نروح عند جدتى وبعدين بردو الجاليرى اتقفل والفترة اللى فاتت كانت صعبة شوية».

اتسعت عيناى فى ذهول ثم قلت:

-«ليه ماحكيتليش كل ده! أنا كنت بكلمك كتير وماعرفش عنك كل ده!»

="مجتش فرصة".

نظرت له نظرات لوم وغضب شديد على هذا ثم قاطعتنا والدتهُ وهى تقول:

-"يلا الغدا جاهز".

تناولنا الغداء وهى تحكى لى عن ذكريات زين الطفولية وعن مدى حبه للفراخ وعن تفاصيل لم أكن أعرفها، ثلاثتنا نجلس على طاولة واحدة، تملؤها الدعابات والطمأنية والسعادة، ضحكنا كثيرًا.

انتهينا من تناول الغداء وهرعنا إلى غرفة زين بعد اختفاء والدتهُ فى المطبخ مرة أخرى، نشاهد أفلام ونلعب ألعاب البلايستيشن، ثم جاءت والدته مرة أخرى بكعكة الفراولة والكريمة.

قلت لها:

-"معقولة يا طنط، أنتِ لازم ترتاحى".

ضحكت فى عفوية وهى تقول:

="أنا زى الفل، هما كانوا شوية تعب وراحوا".

ابتسمت لها ثم شرح لى زين مدى حبها للطهى وأنها تمارس التقليد الأنثوى القديم فى تدليل من تحب بالطهى والحلوى اللذيذة.

دقت العاشرة مساءً وخلدت والدتهُ للنوم، ثم أمسك زين بجيتاره وقرر

العزف، تسلل إلى قلبي الدفء المعتاد من هذه الموسيقى، موسيقاه.
ثم طلبت منهُ أن يعلمنى كيف يفعل هذا، فقال:
-"لا ده سر، مش هينفع".
="يا ربي أنت لسه رخم!"
وقفت لأرحل ثم صافحنى زين وهو يقول:
-"أنا حقيقى مابعرفش اعبر بالكلام، بس أنا سعيد إنك موجودة".
كالعادة ظهرت هذه الابتسامة التى يختبئ خلفها آلاف الكلمات، التى لم يحن وقت خروجها بعد.
احتضنته وأنا أقول له:
-"أنا موجودة، وهفضل موجودة، مش عارفة لحد امتى بس أنا موجودة دلوقتى".

أخيرًا

انتهى أمير من قراءة الكتاب الذى وأخيرًا أنهيته، ثم قال لى فى ذهول:

-"مش ممكن! حلو جدًا، حلو جدًا عاش بجد!"

ساعدنى أمير كثيرًا فى إرسال هذا الكتاب لدار النشر واهتم أيضًا بفكرة الغلاف نظرًا لحبهِ الشديد للتصوير.

وبعد شهور انتظار صدر أول كتاب لى على أرض الواقع.

شعرت بكل ما لم أشعر به سابقًا فى هذه اللحظة، شعرت بأيام التعب والإرهاق والسهر والتوتر، لحظات فقدان الأمل والشغف تجاه كل شىء، لحظات الإفلات والمصابرة على مواصلة هذا الطريق، لحظات الخوف والقلق من الفشل والتساؤلات التى لا تنتهى، بعد هذا الطريق الطويل لا أصدق أنى قد تقدمت خطوة وأنجزت أول ما كان على قائمة أحلام طويلة.

قرر أمير ومريم إقامة احتفال صغير فى المساء، بمناسبة صدور هذا الكتاب، فرحت كثيرًا ورحبت بهذه الفكرة دون تردد.

وقفت فى المساء فى الاحتفال أمام الجميع أتأملهم، أحاول استيعاب أنى لا أحلم، شعور بالألفة والسعادة والراحة، ابتسامة الرضا التى لا تزورنى إلا نادرًا ترافقنى الآن.

ثم وجدت أمى وأبى يتقدمان نحوى فى سعادة أيضًا وينظران لى بفخر شديد، ثم اقترب منى أبى ونظر فى عينى وقال:

-"مبروك، عارف من وانتى صغيرة وانتى غريبة ومغتربة، دايمًا فى عالم تانى بعيد عننا؛ لحد ما بقينا نحس إنك غريبة بحق وحقيقى لدرجة إنى كل ما بكتشف فيكى حاجات بالصدفة أنا ماعرفهاش، بحس إنى لسه باتعرف عليكى كشخص غريب وجديد، مع إنى المفروض أكون أكتر واحد عارفك لأنى أبوكى، ولكن أنتِ قررتى تنعزلى وده كان قرارك بعد ما حاولتى واحنا مافهمناش، أنا كان لازم أشاركك مشوارك ده زى ما كان لازم أشاركك حاجات كتير، لكن حاليًا أنا حاسس بالذنب لإنى دايمًا باوصل متأخر، باوصل فى النهاية بعد كل حاجة، بس أنا فخور بيكى دلوقتى وبكل حاجة وصلت لها ومش هقدر أصلح حاجة دلوقتى لأن الوقت اتأخر بس أنا مستنى أعرفك أكتر وأكتر، لو إنى عارف إنك زى البحر مالوش آخر بس أنتِ أجدع منى وهتسامحينى".

انسابت الدموع بداخلى ولكنها رفضت الخروج من مكانها لشعورى

بالقوة والثقة بعد سماعى هذه الكلمات وحضن أبى الذى لم أفارقه لدقائق كثيرة، لمعت عيناهما وازدادت سعادتى، كنت أحتاج إلى كل هذا بالفعل ليكتمل الجزء الناقص بداخلى من كل شىء.

ولكن لا مفر من هذا، دائمًا سيظل هناك جزء مفقود.

أوشك الحفل على الانتهاء ولم يتواجد زين هنا حتى الآن، أحقًا نسى يوم كهذا أم تجاهل مجددًا هذه المرة!

تأكدت من أمير والذى أخبرنى للمرة الثالثة أنه أخبره واتصل به ولكنه لا يجيب، وما كاد أمير يرفع هاتفهُ للمرة الخامسة ليضغط على زر اتصال مجددًا حتى أوقفته وقلت له:

-"خلاص، خلاص، كفاية كدا".

رحل الجميع وظللت واقفة فى مكانى تائهة، لم أستوعب حقًا فكرة عدم وجوده اليوم، ثم هذا الصوت بداخلى مجددًا:"يا بنتى أنتِ المفروض تكونى اتعودتى خلاص، كل مرة بتنتظرى منه حاجة ويعمل عكسها".

ربت أمير ومريم على كتفى بعد أن ظلا معى حتى خلا المكان من الناس.

قال أمير:

-"تحبى أقعد معاكى شوية كمان يمكن يجى فى أى وقت".

="لا، لا، مفيش داعى، مش هيجى أصلا أنا عارفة حركاته دى".

أوصلانى إلى المنزل، بدلت ملابسى وجلست بالقرب من الشرفة، المكان المفضل لى مجددًا، أتعجل الشتاء المجىء مرة أخرى، وهذا أضاف سعادة على قلبى فوق سعادتى بما أنجزته اليوم، هكذا أستطيع أن أسرق لحظات شرود فى شرفة منزلى الجميلة، أُحدق فى السماء التى توحى لى ألوانها بالسلام الداخلى بعد منتصف الليل، أنتظر الرابعة فجرًا كى أرسم فيلمًا فى مخيلتى على موسيقى أغنيتى المفضلة بالطبع، ثم أتذكر فى كل وقت أنه يجب علىّ الاستيقاظ مبكرًا فى الغد فتفشل هذه الفكرة تمامًا، لا رابعة فجرًا ولكن لحسن الحظ هناك بعض الوقت المتبقى من منتصف الليل لا بأس به.

أعود لأستند برأسى على الحائط وأجلس متقوقعة كالعادة لأستكمل عملية التحديق فى السماء، أغنية" Imagine Dragons-Not Today " فى الخلفية، تدق الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، مما يسمح لى التمتع بهذه اللحظات أكثر، من خلف ستائر الجارة، تقف امرأة عجوز تراقبنى وتبتسم، أبتسم لها أيضًا ابتسامات خافتة.

تذكرنى هذه النظرات بجدتى فى السادسة صباحًا عندما تتأملنى وأنا شاردة طوال الوقت، ثم تأتى فى هدوء وتقف خلفى حتى لا تفسد علىَّ

هذه اللحظات، وتنظر فى الجهة التى أنظر إليها وتشرد هى أيضًا، تمر الدقائق وتبدأ فى سرد حكاياتها وهى شابة فى مثل عمرى، وتقول كلماتها التى تمطر دفئًا على برود هذا التوقيت:

-"تعرفى أنا كنت زيك كدا، بحب أصحى الصبح بدرى قبل ما كله يصحى أو فى ساعة الفجر كدا لما كله ينام، وكنت بشوف إنى لازم أخد حقى من التأمل فى الأوقات دى لأنها متعة مش كتير من الناس هيدركها".

ثم أسألها:

="اومال ليه عمرى ما شوفت ماما بتعمل كدا؟"

تجيب:

-"أصل أمك دى مخها باظ خالص، بتشوف إن كل ده تخاريف".

ابتسم لكلماتها وأحاديثها التى تطربنى وتشعرنى بالونس، أحب لهجتها البسيطة القديمة ونبرة صوتها الناعمة.

If you wanna live young, love, we better start today.

بينما ألتفت لأرتشف القهوة، سمعت صوت صفير يأتى من الخارج فى الأسفل! نظرت ولم أجد شيئًا، المكان مظلم وهادئ ولا يوجد سوى

عمود نور واحد يُضىء منتصف الشارع، وماكدت أُغلق النافذة حتى سمعت هذا الصوت مجددًا يرتفع هذه المرة، نظرت فى تعجب لأسفل وبتركيز، ثم وجدتهُ، زين! لا أصدق ما أراهُ حقًا! وجدتهُ يلوح لى بيديه الاثنتين، وهو يحمل كتابى وزهور عباد الشمس التى أحبها كثيرًا، لم أستطع الانتظار، ارتديت معطفى وأسرعت بالنزول.

هدأت خطواتى وتباطأت شيئًا فشيئًا عند تواجده أمامى، أحاول استيعاب أنه هنا، اقترب منى أكثر واحتضننى، ثم نظر إلى عينى وصمت لحظة يتأملهما وقال:

–"أنا آسف إنى ماعرفتش أكون فى الحفلة، بس أنا حقيقى فخور بيكى".

="كنت خايفة تنسانى، حرفيًا مكنتش هاعرفك تانى المرة دى".

–"يا منة بقالنا أكتر من سنتين مع بعض وكل مرة بتخافى انساكى؟"

="وهفضل أخاف لحد ما اتأكد إنك موجود".

–"متخافيش تانى!"

ابتسمت وعيناى تلمعان ثم أومأت برأسى كالطفلة المطيعة.

أكمل زين فى مزاحه المعتاد:

–"لبس البيت هياكل منك حتة".

لأنظر بذهول وأكتشف أنى ارتديت معطفى على البيجامة!

لكزتهُ وأنا أقول له:

-"يا فصيل".

ضحك كثيرًا، ثم انحنى على ركبتيهِ ومد يدهُ يحمل كتابى وهو يقول:

-"كاتبتى العظيمة ممكن أحصل على توقيعك؟"

رحل زين وصعدت إلى غرفتى، عدتُ أرقص مجددًا وأضحك وتسرقنى هذه السعادة مجددًا، أمسكت الزهور لأضعها فى الماء ثم وجدت رسالة بينهما مكتوبة بخط اليد، فتحتها لأجد:

"منة،

منة شخصية جميلة،

بالرغم من إحساسها الدايم لكرهى ليها اللى حسته من تصرفات عملتها فى نظرى عادية، وفى نظرها سيئة وبيلازمنى إحساس بالذنب دايم تجاهها، لأنها تقريبًا الشخصية الوحيدة اللى بحس إنها ادتنى أكتر ما اديتها، بس إحساسها ده ملوش وجود بالنسبه ليا ودا بسبب قرارى بتعديل العلاقة فى البداية لاعتقادى إنها بتكن مشاعر من نحيتى فقررت أبعد فترة، ورفضت اللقاء عشان كنت خايف أخسرها ومايكونش فى منة تانى، بس ده ساء أكتر بعد تكرار عرضها وتكرار رفضى.

بس منة شخصية جيدة جدًا وحالمة بحاجات أكبر منها، وده بيدعمه

تفائلها الدائم واعتقادها بإنها قادرة تتغلب على الصعاب اللى فى الأغلب للأسف مابتكنش مدركاها.

منة عيوبها تكمن فى مميزاتها.

هى علاقة معقدة نسبيًا بس أنا سعيد بيها جدًا وأعتقد إنها فى يوم من الأيام هتحقق حلم من أحلامها الضخمة وتنظر لى نظرة بكل فخر وتعالى وتقولى شوفت مش قلت لك! وساعتها بالرغم من إنى مش هكون عارف أقول إيه بس هكون مبسوط جدًا بنظرتها ومبسوط لها بما أنجزته.

منة شخصية جميلة ومن مكاسب الدنيا".

اغرورقت عيناى بالدموع بعد قراءتى هذه الرسالة، أرسلت له:

-"زين!"

="كنت كاتب لك الرسالة دى من بدرى وكنت مستنى الوقت المناسب اللى اديهالك فيه، وبما إنك بالفعل أنجزتى حلم من أحلامك الضخمة فمفيش أنسب من كدا".

لم أعرف ماذا اقول أو ماذا علىّ أن أفعل، شعرت بالسعادة المفرطة، رغم التساؤلات الكثيرة التى ترددت إلى ذهنى بعد قراءتى هذه الكلمات، ولكن لن أفسد هذه اللحظة الآن سأنتظر الوقت المناسب لأناقش فيه

كل هذا، لاحقًا.

وجدت نفسى لا أفعل شىء سوى احتضانها ومن بعد ذلك غفوت فى نوم عميق.

النهاية

مرت السنين والشهور حتى جاء اليوم المنتظر للجميع، والآن نحظى بإنتهاء سنه جامعيه أخرى ، لا أصدق أننى قد تخلصت من هذا العبء الدراسى.

فى مساء اليوم التالى تواجدنا جميعًا فى مركز شباب الجزيرة بالزمالك لحضور حفلة مسار إجبارى، احتفالًا بكل ما مضى وكل ما هو قادم، تجمع كل الأصدقاء هنا قبل بدء الحفل بلحظات، وعندما بدأ الحفل تلاشى كل شىء فى حضور الموسيقى، وتلاشى أيضًا كل ما هو مرهق ومؤرق للنفس، لا نفكر فى شىء آخر سوى الاستمتاع باللحظة والاستسلام لها.

«فاكرة أما كنا، ساعات نلف، ساعات نطوف..نحكى الحكاوى بالألوف ومانسهاش....فاكرة أما كنا ساعات نلف، ساعات نطوف، نبنى فى بيوت حيطانها خوف، ماسكنهاش».

كانت هذه الاغنية تحكى الكثير من الذكريات، كانت استرجاع لبداية

كل شىء، بداية عبث وغموض ثم تدهور هذه العلاقة، بداية المغامرة معه، وكيف لى أن أنسى الطريق الذى كان دائمًا يقودنى إليه فى كل مرة منذ ملاقاته!

"ونخاف تكون مشاويرغلط ومانمشيهاش، فاكرة الطريق، أوقات يحس، ساعات يروق، تملى الخيوط الشمس وتسد الفروق".

أشعر حقًا بالسعادة لوجوده بجانبى الآن فى هذه الحفلة وفى كل لحظة، وكأن هذا تعويضًا غير مباشر لكل لحظات الخذلان والألم، أنا لا أحتاج لشىء بعد الآن.

"فاكرة أما كنا ساعات نلف، ساعات نطوف، نضحك على ساعة الزمن مايعديهاش...تجرى عواميد جمبنا، حتى اليُفط تضحكلنا، تقطعها كلمة مننا...هانزل هنا".

انتهى الحفل وتعالى صوت أمير يهتف تشجيعًا على هذا الأداء الرائع الذى لم تفشل فيه مسار إجبارى أبدًا.

ظلت هذه الأغنية معلقة فى أذنى وذهنى لوقت طويل.

خرجنا من مركز الشباب وانتشرنا فى شوارع الزمالك، نضحك ونرقص كثيرًا، نعبث كثيرًا.

اقترب منى زين لنأخذ صورة لنا حفاظًا على ذكرى هذا اليوم، عاد لى

شعور الأيام السابقة بعد معاناة وطريق طويل.

فى صباح باكر جدًا لأحد الأيام، فى سيارة لا يوجد فيها الكثير من الناس المعروفة، نسير فى طريق طويل نهايته هذه المدينة التى لطالما حلمنا بزيارتها معًا فى هذا الوقت من العام، الإسكندرية فى الشتاء، الهواء البارد يلفح وجهى كنغمة موسيقية تسترسل إلى أذنى فأغمض عينى وأشعر بسلام داخلى.

أمسك زين بيدى عند الوصول وذهبنا لنتجول، بالطبع هو يعرف هذه المدينة أكثر منى وكالعادة سيبدأ فى جعلى أكتشفها على ذوقه الفنى، وكالعادة ككل الأماكن السابقة والتى اكتشفتها معه سأحبها كثيرًا ويتعلق قلبى بها أكثر من اللازم، وبلا شك سأعود إلى هنا مرة أخرى، مرات معه، وكثيرًا وحدى. عندما تتعلق الأماكن بمن نحب لا نريد أن يشاركنا فيها غيرهم، وإذا تمرد أحد آخر وفعل ذلك وشاركنا بالفعل! لا نشعر بالانتماء لهذا المكان، بل نشعر أننا غرباء، لهذا أفضل العودة لكل الأماكن وحدى إذا لم يتواجد صاحب اللحظة الأولى معى مجددًا، أعود بحنان زائد وأفتقده.

ذهبنا إلى الشاطىء فى وقت الغروب، وقفنا نلقى الصخور فى البحر ونتسابق على هذا، ثم ضحكنا وابتاع لى صدفة وأحضر لى قوقعة

لمعرفته بحبى الشديد لهما، ثم جلسنا أمام البحر للحظات فى شرود وشعرت بأن على الآن وضع إجابات لكل ما هو معلق بداخلى لذا بدأت الحديث:

-"هو أنا ينفع أقول لك حاجة؟"

التفت لى وهو يبتسم وقال بحسه الدعابى المعتاد:

="إيه، بتحبينى؟"

لكزته وأنا أكز على أسنانى وقلت:

-"يا ربى منك، لا مش عايزة أقول كدا، بس عايزة أسألك، هو إنت ليه تجاهلت يوم عيد ميلادى رغم إنك عارف أهمية اليوم ده بالنسبة لى؟ وليه بعدت لما حسيت إنى بكن لك مشاعر زى ما كتبت لى فى الرسالة؟ ليه بعدت وكنت بتتجاهلنى! ليه كنت بتبعد فجأة وتسيب مكانك فاضى من غير ما تقدم أى عذر أو سبب؟"

صمت زين للحظات وهو ينظر إلى البحر، ثم التفت لى وقال:

="الفترة اللى فاتت دى كانت صعبة شوية، كنت متلغبط ومش عارف أخد قرار فى حاجات كتير، لما قررت أبعد فعشان كنت خايف أظلمك معايا ساعتها واخسرك وماتبقيش موجودة تانى، كنت شايف إنى كدا بحمى وجودك جمبى، أما أنا بعتذر إنى ماقدمتش عذر أو سبب مكان

غيابى بس فعلا ماكنتش عارف أقول إيه".
ساد الصمت بعدها مرة أخرى وسيطرت أصوات الأمواج المتلاطمة على هذه اللحظة، ثم وقفنا أمام البحر مباشرة وتشابكت أيدينا وكأننا نواجه أمواجًا عالية معًا، اقترب منى زين وضمنى إلى صدرهُ ثم قبّل جبهتى فى حنان وقال:
-"علاقتى بيكى غير مفهومة حقيقى، بس كل اللى أنا عارفه فيها إنى بحبك جدًا ومستحيل أكرهك".
نظرت له صامتة، وأنا لا أعلم ماذا أقول، ليكمل هو:
-"وعايزك موجودة دايمًا، لأنك بقيتى جزء أساسى من حياتى".
لتلمع عينى ويخفق قلبى المنهك من لحظة الوصول، أبتسم فى رضا وحنان وأقول له:
="زين".
ثم أصمت فى تردد وأكمل:
="أنا كمان عايزاك موجود، دايمًا".
ظل يحتضننى ولم يفلتنى أبدًا، وكأنهُ لا يريد فقدى أبدًا، وكأننا قوة تجمعت ضد عالم ملىء بالضجة والعبث.
"شوفتك لمحتك غصب عنى، وكتبتلك وقولت أغنى".

لا أعرف اسمًا للفيلم، لنسميه عبث الحياة، لا أعلم لما العبث مرتبط بك، كلما ذكرت العبث أو عبثت فعليًا، تقفز أنت إلى داخلى أول شخص، أما زال هذا الأثر الذى تركتهُ بداخلى موجودًا ولم يمُت! علىّ القول حقًا إنه جميل، وإنك رائع بقدر ما تعجز الكلمات عن وصفك، أنت رائع كسماء شتوية مليئة بالنجوم، كجدتى فى السادسة صباحًا، من فترة أهديتنى موسيقى وألحان وكان إهداؤك لى عليها: "مفيش موسيقى وحشة بس فى موسيقى ما بنحبهاش"، اليوم يزداد استيعابى لهذه الكلمات، بل أتذكرها وأفرح.

بعد عودتنا إلى القاهرة جلسنا على درجات المنزل الذى احتضن أكثر ذكرياتنا، فى نهاية كل شىء عدنا إلى نفس النقطة التى بدأنا منها لنبدأ من جديد، نستمع إلى الموسيقى، نتشارك الدندنة والضحك وكل ما كنا نشعر به ونخفيه خوفًا من ردود فعل كل مِنا.

أتعتقد حقًا أن المغامرة قد انتهت؟! بل قد بدأت هنا، وهى تبدأ الآن. انتظرت طويلًا هذه اللحظة، أن تسرقنى السعادة، حتى أتت مثل لحظات كثيرة، ثم تنتهى لتكون نهايتها بداية لشىء آخر جديد فى حياتى، ها أنا أنتظر الحياة لتفاجئنى بما لديها مجددًا، أدركت مدى حبى لهذه المغامرات الصغيرة، والخبايا المجهولة خلف كل لحظة، والوصول

بعد الانتظار الطويل، والرفقة فى الطريق، والموسيقى على شط البحر وشرفة منزل جدتى، والقهوة، وكل من شاركنى هذه اللحظات، وكم الأشياء والدروس التى تعلمتها والتى ما زلت أتعلمها، فمع انتهاء كل حكاية وبداية حكاية أخرى ومغامرة جديدة تحت سماء مليئة بالنجوم وفى نهاية هذا المطاف أشعر بالامتنان والرضا لما وصلت له، لوجود زين بجانبى رغم كل شىء، أدركت أن ما أكنه له أكبر مما يطلق عليه مشاعر، لم أكُن أعلم أن مثلها موجود على هذه الأرض، إن ما بيننا شىء مبهم، غير واضح.

تذكرت كلمات صديقى أندرو المغترب منذ سنين:

«فى علاقات فى حياتنا هى ملهاش مسمى محدد، ماتبقاش عارف راسك من رجليك فيها، هى حلوة كدا، ويمكن لو أطلقنا عليها مسمى خليناها مقيدة بروابط وقيود سخيفة، وأفسدنا كل ما هو حلو وغامض فيها».

اتفقنا أن علاقتنا غريبة وأنها أمتع بكثير من الحياة النمطية، ثم تمنينا لحظات هذه الحياة النمطية حيث كل شىء مستقر ومفهوم، فى النهاية نبقى نحن وحدنا من نفهم هذا السحر المنثور فوق كعكة هذه العلاقة.

إلى ما لا نهاية، وما بعدها.

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub